نحو قطب إقليمي فاعل دوليًا

W.A.R.C
West Asia Research Center

23 شباط/ فبراير 2022

نحو قطب إقليمي فاعل دوليا

تأطير سياسي لمحور المقاومة

W.A.R.C
West Asia Research Center

23 شباط/ فبراير 2022

الفهرس

مدخل

مقدمة

الفصل الاول، الظروف السائدة في المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى

أولا، الاستعدادات العسكرية والسياسية - ملامح من الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى

ثانيا، النخب العربية

الفصل الثاني، 1914 – الحرب العالمية الأولى – صراع اقتصادي

أولا، التحضير للحرب

ثانيا، اقتصاد الحرب

الفصل الثالث، 1945 – الحرب العالمية الثانية – صراع أيديولوجي

أولا، أعماق الأزمة

ثانيا، نتائج الحرب على الدول الاستعمارية القديمة

الفصل الرابع، معسكرات في طور التشكل

أولا، المعسكر الأميركي الأوروبي

ثانيا، المعسكر الصيني الروسي

الفصل الخامس، نحو قطب دولي جديد

أولا، كيف استفادت القوى التحررية في المنطقة من الصراعات الدولية، مستغلة التحولات الجذرية في الواقع الدولي؟

ثانيا، الدروس المستفادة

التوصيات

الخاتمة

مدخل

يسير البحث عبر خط زمني طويل يتخطى المائة عام، يتخلل هذا المسار ثلاثة أحداث عالمية مفصلية، كانت نتيجتها تحولات في موازين القوى الدولية، ومناهج سياسية واقتصادية جديدة تماما، وثورة على صعيد المفاهيم والقيم، وكل فصل فيه يصلح ليكون كتابا بحد ذاته، وبما أن الوقت وحجم العمل لا يسمحان بتقديم معلومات تفصيلية، لا سيما أن البحث يطرح قراءة مختلفة للأسباب والنتائج التي تضمنتها هذه الحقب المفصلية في تاريخ العلاقات الدولية، والتي تعتمد على رؤية التحولات وفق زاوية مركزة لأحد العوامل التي تعتبر من وجهة نظر الكاتب أنها مفصل مهم في تطور الأحداث اللاحقة، فجزء من البحث يعتمد على الدبلوماسية السرية، وجزء على بيانات اقتصادية من خارج النطاق المعتاد لعرض الحرب من زاوية المعارك العسكرية، وآخر يبحث في الأسباب الاجتماعية للتحولات الكبرى، لذا تم ضغط وتركيز المعطيات والمعلومات الى أقصى حد، بما لا يضر بتماسك البحث وتسلسله.

مقدمة

حربان عالميتان تشتعلان، يقتل فيهما ما يقارب 100 مليون إنسان، تُدمر مجتمعات بأكملها ليعاد تشكيلها من جديد وفق قيم جديدة تقطع صلتها بالجذور الثقافية الأساسية لشعوب بكاملها. حربان عالميتان تختلف منطلقاتهما؛ الأولى تشتعل بسبب المنافسة الاقتصادية الشديدة بين الامبراطوريات الاستعمارية القديمة والدول الصاعدة والطامحة لنشر النفوذ وغزو الأسواق؛ أما الحرب الثانية، فتنفجر بعد تعارض الأيديولوجيات الناشئة والناتجة عن الحرب الأولى، فيما تعود القوى الغربية بداية القرن الحادي والعشرين، لتغزو عددا من دول الشرق الأوسط، وتعمل على إسقاط أنظمة عربية بهدف استباق المستقبل، وحماية مصالحها، ودولة الكيان الإسرائيلي المؤقت، بعد صعود محور المقاومة.

لا تستهدف المقارنة بين حقبتين -الحرب العالمية الأولى والثانية - الى الاسقاط التاريخي على الاحداث الآنية والمستقبلية، إن التشابه بين هاتين الحقبتين لا يعني حتمية الوصول الى نفس النتائج في كل مرة، بقدر ما يعني أن الخطط والوسائل المستخدمة والمتبعة توصل الى نتائج مشابهة في أغلب الأحيان، من هنا جاءت هذه المقارنة لتفتح المجال بناء على المعطيات الواردة، باستكشاف الفرص المتاحة التي تسمح لدول محور المقاومة بالتقدم على أعدائها خطوات متعددة، وتجعل النتائج تنقلب لصالحها في النهاية.

سمح انشغال الولايات المتحدة وحلفائها في حروب الشرق الأوسط، للصين وروسيا بالصعود على الساحة الدولية، مما أدى لدق ناقوس الخطر في مراكز صنع القرار الغربية. سريعا بدأت الساحة الدولية تتحضر لظهور معسكرين من جديد، شرقي وغربي، فيما بدأت المواجهة الحقيقية بينهما تتخذ منحاها التصاعدي منذ بداية العام 2020، ومن المتوقع تصاعدها بوتيرة متسارعة في السنوات المقبلة.

تتمحور إشكالية الدراسة حول الاستفادة من دروس الحقب الثلاث، واستشراف مستقبل المواجهة الحالية بين القوى الكبرى، وفرص ظهور قطب جديد على الساحة الدولية.

الفصل الاول

الظروف السائدة في المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى

مدخل

تتشابه التطورات والتحولات الدولية في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، مع تلك التي كانت سائدة منذ أكثر من مئة عام، فتلك الحقبة شهدت صعود كبيرا لألمانيا على الصعيد العلمي والتكنولوجي والصناعي والاقتصادي، وتفوقت فيها على القوى العظمى التي كانت سائدة آنذاك، بريطانيا وفرنسا. أرادت ألمانيا أن تترجم قوتها الصاعدة، فكان صراع على المستعمرات والأسواق والموارد الطبيعية وغيرها، أوصل هذه المنافسة في النهاية الى حرب عالمية. تتشابه الظروف الدولية اليوم مع تلك التي كانت سائدة في تلك الحقبة، اذ استشعرت القوى العظمى الحالية وعلى راسها الولايات المتحدة خطر التقدم الاقتصادي والتكنولوجي الصيني واستحواذه على الأسواق العالمية، واستثماره في الثروات الباطنية في أفريقيا على وجه الخصوص، وتوسعه عبر مبادرة الحزام والطريق (طريق الحرير)، وتأثير هذه التغيرات المدمر على ريادة الولايات المتحدة في العالم، بل على ريادة العالم الغربي ككل. لذا يفتح هذا التشابه بين الحقبتين باب الفرص الكثيرة والمهمة لمحور المقاومة لتغيير واقع المنطقة ومستقبلها، التي قد لا تتكرر مستقبلا، وإن تكررت فبعد أحقاب مديدة.

أولا، الاستعدادات العسكرية والسياسية - ملامح من الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى

- إيران والجزيرة العربية

شهدت الأعوام ما قبل الحرب العالمية الأولى محاولات بريطانيّة للتخلص من منافسيها في المنطقة، فوقعت الاتفاق الودي مع فرنسا عام 1904، كما وقعت اتفاقية عام 1907، مع روسيا لتقاسم النفوذ في إيران، ولم يبق أمام بريطانيا سوى عقبة كبيرة متمثلة في ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية، الأولى بثقلها المادي ومشروعاتها التوسعية في العراق والشام، والثانية بثقلها المعنوي. لجأت بريطانيا الى السيطرة على مشيخات شرق الجزيرة العربية وتقديم الحماية لها، وعقدت معاهدات الحماية الاستعمارية، ثم منعت شيوخها من التعاون أو إقامة علاقات مع أي قوى منافسة لها وخاصة الدولة العثمانية، التي حاولت بالفعل التأثير على هذه المشيخات تحت شعار الجهاد الديني، مما جعل بريطانيا تقدم حمايتها العسكرية لمشيخات المنطقة الذين أصبحوا مهددين بابتلاع الدولة العثمانية لهم، وكانت أكثر المشيخات تعرضا لهذه الاخطار، هما عربستان (في إيران) التي كان يحكمها الشيخ خزعل الكعبي 1897-1925، وعلى الرغم من أنه كان يمارس نفوذا قويا في مشيخته، إلا أنه كان يخشى من الدولة العثمانية، وكذلك الكويت التي كان يحكمها الشيخ مبارك الصباح 1896-1925، وكان خاضعا للسيادة العثمانية من الناحية الشكلية، وإن كانت ظروف علاقته مع بريطانيا جعلت من مشيخته تنضوي تحت حماية بريطانية، وذلك بموجب الاتفاقية الانغلو-عثمانية لعام 1913، في حين لم تكن بريطانيا تخشى على مركز الشيوخ الخاضعين لحمايتها في القسم الجنوبي من شرق الجزيرة العربية، كقطر والبحرين وساحل عمان (الامارات)، وعمان لبعدهم عن مركز التحركات العسكرية العثمانية في البصرة.

لاحظ المراقبون العسكريون البريطانيون أن شيخا عربستان والكويت، يمكن أن يتعرضا أكثر من غيرهما للتهديد العثماني، الذي قد يؤدي الى ضياع النفوذ البريطاني أو التشكيك فيه على الأقل. قررت بريطانيا إرسال قواتها للتمركز في شمال الخليج الفارسي، لأنها كانت تخشى من حركة الجهاد الديني التي أعلنها السلطان العثماني بهدف إثارة المسلمين في الهند والخليج الفارسي، وكان مما شجع بريطانيا على ذلك أن شيوخ العرب، وهم خزعل الكعبي ومبارك الصباح وابن سعود، بالإضافة الى العشائر العربية والإيرانية في جنوب إيران وعربستان والعراق، كانوا مهيئين للتعاون والتحالف مع بريطانيا، وكانت إمارة عربستان لها أهمية خاصة لدى بريطانيا، حيث كانت أنابيب النفط التابعة للشركة البريطانية تمر في أراضيها، كما أن إمارة الكويت تقع خلف خطوط الحملة البريطانية، ويمكن القول أنها قاعدة الانطلاق لاحتلال البصرة، ولم يجد البريطانيون عناء في التعاون والتحالف مع كل من شيخا الكويت وعربستان، فوعدوا الأول بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية، والثاني بالاستقلال عن إيران، ولكن القضية كانت تتعلق بموقف الشعوب الإسلامية وميل الغالبية الى الدولة العثمانية بحكم الرابطة الدينية، وكان قد نبَّه وزير الشؤون الخارجية – أتشيسون- في حكومة الهند البريطانية، الذي يتمتع بخبرة كبيرة في المنطقة الى هذا الامر، وقد أكدت الاحداث توقعات أتشيسون، إذ أن معظم العشائر في جنوب العراق لم تقبل بالتعاون مع قوات الاحتلال، برغم أن بريطانيا وضعت خطة لكي يتولى زعماء هذه العشائر إدارة دولة جديدة في العراق تحت إشرافها.

- العراق:

كان البريطانيون يعتبرون السيطرة على بغداد هدفا استراتيجيا لهم، ليس من أجل الحفاظ على وجودهم على ضفتي الخليج الفارسي والمحيط الهندي وحسب، بل لجعله منفذا حقيقيا لهم في عموم الشرق الأوسط بعيدا عن ألمانيا، حيث كانت الحكومة البريطانية في الهند تشعر بالقلق لأن الثورة ضدها بدأت في كل من بلاد فارس وأفغانستان، فإن لم يسقط العراق في أيديهم سيكون وجودهم على ضفتي الخليج الفارسي والهند مهددا، حيث علت الأصوات في بريطانيا من أجل الإبقاء على هيبتها في العالم الإسلامي.

كانت هناك نخبة من المثقفين العراقيين الشباب الذين درسوا في كليات إسطنبول، سواء من العسكريين أم من المدنيين، وهؤلاء كانوا قد فقدوا الامل في العثمانيين سواء من خلال الإصلاحات والتنظيمات، أم من الدستور الذي كان يدعى بالمشروطية، وبلغت هذه النزعة مداها على عهد الاتحاديين الذين وصلوا الى السلطة في إسطنبول عام 1908. كان هؤلاء المثقفون يتطلعون الى المتغيرات الجديدة من أجل التخلص من الاستبداد والتخلف الذي حاق بالعراق، فضلا عن خلاصهم من الأحوال السيئة التي خلقتها ظروف الحرب القاسية. كان الكثير من هؤلاء النخب العراقية من القوميين العرب ومن دعاة القومية العربية.

- الشام - سوريا ولبنان:

كانت بريطانيا مهتمة بجمع المعلومات عن الأقاليم العربية الخاضعة للحكم والسيطرة العثمانية. في يوم 1914/9/15، بعث القنصل العام لبريطانيا في بيروت بصورة من التقرير الذي كتبه للسفير البريطاني في إسطنبول، وتسلمته الخارجية البريطانية في لندن بتاريخ 1914/10/17، ويرسم التقرير حالة من الاضطراب في لبنان عقب إعلان الحرب العالمية الأولى. يقول التقرير البريطاني:" أن أخطر الظواهر هي محاولة من الخارج تهدف الى إضعاف العلاقات الودية بين الدروز وبريطانيا، وإغرائهم لاتخاذ موقف الى جانب ألمانيا، وفي حالة اتخاذ الدولة العثمانية إجراءات عسكرية تسمح لهم بالانقضاض على الموارنة والارثوذوكس في جبل لبنان"، ولحسن الحظ حسب قول القنصل البريطاني العام، أنه سمع بتلك المؤامرة في الوقت المناسب، وبعث لبعض الزعماء الدروز أصحاب النفوذ ونقل لهم ما لديه من معلومات، ونتيجة لذلك فشلت الحركة في مهدها بواسطة العمل السريع من قبل هؤلاء الزعماء، ومن وقتها تواردت الى القنصل التأكيدات عن إخلاص الدروز لبريطانيا التي كانت دائما تكتنفهم برعايتها

وحمايتها، ولكن كانوا يخشون أن تحتل فرنسا لبنان وتفضل الموارنة عليهم إن خرجت منتصرة من الحرب، وخوفهم من تخلي بريطانيا عنهم حفاظا على العلاقات بينها وبين حليفتها فرنسا، ولم يجد القنصل البريطاني صعوبة في إقناع الدروز وطمأنتهم كما قال، وكتب القنصل البريطاني في تقريره أنه نصح الدروز والموارنة والارثوذوكس التزام الهدوء وأن لا يتنازعون فيما بينهم حتى لا يجد العثمانيون مبررا للتدخل في لبنان.

بالنسبة للسنة اللبنانيين، فقد كانت الطبقة النخبوية العليا في اوساطهم تتعاون مع الفرنسيين على نطاق واسع، ومؤيدة للقومية العربية والاستقلال عن الدولة العثمانية. كانت جزء من هذه النخب على علاقة مع الوكالة اليهودية، التي تواصلت مع بعضهم في إسطنبول، والبعض الآخر في لبنان لا سيما في بيروت. أثرت هذه الطبقة النخبوية العليا على ما يليها من وجهاء العائلات البيروتية الكبرى، التي أيدت توجهاتها، وآثرت الفرنسيين على الدولة العثمانية، وكان وفد من علماء بيروت قد زار المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين محاولا إقناعه بالتعاون مع الفرنسيين ضد الدولة العثمانية، إلا أنه رفض بقوة، فيما تعاون كبار الاقطاعيين الشيعة مع الوكالة اليهودية.

- فلسطين والأردن:

كان شمال فلسطين – لواء عكا ولواء نابلس – تابعين لولاية بيروت قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وباقي البلاد تابعة للواء القدس المرتبط مباشرة بالباب العالي، أما شرقي الأردن فكان مقسما الى ثلاث وحدات إدارية هي؛ قضاء عجلون ويتبع لواء حوران، وقضاء البلقاء ويتبع لواء نابلس التابعة بدورها لولاية بيروت، ولواء الكرك الذي يضم قضائي معان والطفيلة ويتبع ولاية سوريا. منذ أن دب الانحلال في جسم الدولة العثمانية، بلغ سوء الإدارة وفساد الحكم الذروة، وانتشرت الوساطة والشفاعة والمحسوبية والرشوة في جميع أجهزة الدولة، وغدا هم الموظف العثماني جمع المال بمختلف الوسائل غير المشروعة، وسلط الاداريون رجال الجندرمة (الدرك) على الأهالي وروعوا السكان، وابتزوا أموالهم وضيقوا على الفلاحين، واستوى المذنب والبريء أمام المحاكم، بينما كانت فلسطين قد تعرضت لحملة استيطانية مكثفة منذ ثمانينات القرن التاسع عشر، فساهمت القوانين العثمانية، لا سيما قانون الأراضي (الطابو) لسنة 1858، والقانون الصادر سنة 1867، الذي منح الأجانب حق حيازة الأراضي وامتلاكها في الدولة العثمانية، على تشجيع الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وفي توسيع ملكية الاسر الثرية وكبار موظفي الدولة وشيوخ العشائر للأراضي الاميرية وأراض (الجفتلك) التي يمتلكها السلطان، وكان من نتائج ذلك تقلص الملكيات الصغيرة والاميرية لصالح الملكيات الكبيرة (هذا يفسر كيفية بيع مساحات هائلة من الأراضي بالجملة الى الوكالة اليهودية آنذاك)، كما انتعشت حركة الاستيراد والتصدير في المدن الفلسطينية وظهر التمايز جليا بين بين الأثرياء والاعيان البرجوازية التجارية الصاعدة من جهة، والفئات الفقيرة من العمال والحرفيين من جهة أخرى.

الجدير بالذكر أن العديد من المستعمرات اليهودية كانت قد بنيت في فلسطين واقتطعت لها السلطات العثمانية الآلاف من الفدادين الزراعية، وأكمل القائمين بالانقلاب في إسطنبول من جمعية الاتحاد والترقي تعاطفهم مع الاستعمار الصهيوني في فلسطين، وسمحوا بإنشاء البنك الانغلو-فلسطيني في يافا والقدس لتمويل المستعمرات اليهودية، وسمحوا أيضا بوجود مكتب للهجرة اليهودية باسم، مكتب فلسطين للهجرة المرتبط بالحركة الصهيونية، وكان مساحة ما يملكه اليهود مع بداية الحرب العالمية الأولى 130 ألف فدان، واستطاع اليهود الحصول عليها برشوة الوزراء والمسؤولين العثمانيين في إسطنبول وفلسطين نفسها.

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في 1914/11/11، عينت الحكومة أحمد جمال باشا وزير البحرية قائدا للجيش العثماني الرابع المرابط في بلاد الشام، فأخذ جمال باشا يتقرب من أعيان بلاد الشام ومشايخ قبائلها، ويغدق عليهم الأموال والاوسمة والالقاب الشرفية، ويستضيفهم في دمشق من أجل التعاون معه لإنجاح حملته على مصر. وكانت الدولة العثمانية قد أعلنت النفير العام، وفرضت الخدمة العسكرية الاجبارية على أهالي

فلسطين وقضاء عجلون في شرقي الأردن، وكذلك لواء الكرك، وعندما أعلنت الثورة العربية في الحجاز تساهلت السلطات التركية مع البدو، وحرضتهم على عدم الانضمام الى جيش الثورة العربية. بعد فشل حملة جمال باشا على مصر، اتبع سياسة حازمة ضد النخب الاجتماعية والثقافية العربية في بلاد الشام، واتهم من يُطلق عليهم بالمتنورين العرب بالخيانة للدولة والوطن، وتسليم البلاد الى ادارة أجنبية، كما اتهمهم بإقامة روابط واتصالات مع القنصليات الأجنبية، فحكم المجلس العرفي العسكري على 32 منهم بالإعدام، وكذلك في فلسطين والأردن حيث تم إعدام عدد من النخب الاجتماعية بتهمة التعاون مع الانجليز، غير أحكام النفي والمصادرة والإبعاد.

على الصعيد الاقتصادي، فرض الحلفاء حصارا على موانئ فلسطين والشام، ورافق هذا الحصار مصادرة المحاصيل الزراعية من قِبل الجيش العثماني، وفرض الإعانات للجيش وتجنيد الشباب، وزاد الوضع سوءا بانتشار الامراض والاوبئة والمجاعة، وكانت الحكومة العثمانية قد عانت من عجز هائل في الموازنة العامة خلال سنوات الحرب، وأصدرت العملة الورقية بدل العملة الذهبية والفضية، وسرعان ما أصبحت هذه العملة الورقية غير قابلة للتداول مع استمرار الحرب، وغزا الجراد بلاد الشام كلها، فأتى على الأشجار والمزروعات، فارتفعت أسعار المواد الغذائية 1,675%، وقلت المؤن في فلسطين وشرقي الأردن عموما.

- مصر:

كانت مصر في ذلك الوقت مستعمرة بريطانية، وكانت مركزا لنشاط الدوائر السياسية والاستخبارية البريطانية، التي كانت تتواصل مع النشطاء العرب ذوو التوجهات القومية من عدة أقاليم عربية، فيما كان لهؤلاء اتصالاتهم مع النخب الاجتماعية والعسكرية في بغداد والشام وبيروت وفلسطين، بالإضافة الى التواصل مع الشريف حسين في الحجاز لقيادة ثورة عربية مسلحة ضد العثمانيين انطلاقا من مكة والمدينة، وتم اختيار هاتين المدينتين المقدستين لإعطاء الثورة الشرعية الدينية اللازمة وجعلها مقبولة من الأوساط الشعبية العربية، حتى أن القائم بأعمال المعتمد البريطاني في القاهرة أرسل برقية الى وزير خارجيته بتاريخ 1914/10/17، بهذا الخصوص، ومما جاء فيها:" إن نوعية الشعور السائد في الجزيرة العربية سيكون له تأثير كبير على العرب في مصر، وأتباع السنوسي في ليبيا".

توجب على بريطانيا كي تعبئ مصر في خدمة مصالحها الامبريالية أن تحل عدة مشكلات تتعلق بوضع مصر في مواجهة المتطلبات السريعة للحرب، وكذلك على صعيد علاقة مصر بتركيا، بالإضافة لمعالجة الوضع الداخلي المصري من الناحية السياسية الرسمية – الخديوي وحكومته – ومن الناحية الشعبية – القوى الوطنية المعارضة للاحتلال. في 1914/11/7، أصدر الجنرال البريطاني جون ماكسويل بيانا أهم نقاطه:

- أن بريطانيا لا تطلب من الشعب المصري تحمل أعباء هذه الحرب.
- أن بريطانيا لا تطلب من الشعب المصري سوى الامتناع عن أي أعمال عدائية ضدها.
- حرص بريطانيا على تدعيم قوتها العسكرية في مصر، وأنها سترسل حملة عسكرية الى الإسكندرية.

إلا أن الامر انتهى بأن أصبحت مصر في حالة حرب مع الدولة التركية صاحبة السيادة القانونية عليها، وانقطع آخر خيط يربط مصر بالباب العالي، وبإعلان بريطانيا فرض حمايتها على مصر في 1914/12/18، وتعيين مندوب سامي بريطاني حاكما عليها هو هنري ماكماهون، واستكملت بريطانيا خطواتها بإرسالها خطابا دوريا الى دول العالم يفيد بأن مصر قد وضعت تحت حمايتها، وأصبح الدخول في الحرب والدفاع عن مصر أمرا انجليزيا بحتا. وقتها كان الخديوي عباس حلمي على علاقة متوترة مع الوجود الإنجليزي في مصر، وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بثلاثة أشهر، سافر الى الآستانة، فاستغل الإنجليز فرصة اندلاع الحرب ودخول تركيا فيها، فأعلنت الاحكام العرفية في مصر ومنعت الخديوي عباس حلمي من العودة إليها، وقامت بعزله في اليوم التالي لإعلان حمايتها على البلاد، وعينت

حسين كامل سلطانا على مصر في نفس اليوم، وبذلك تخلصت من الخديوي المناوئ لسياستها وأنهت تبعية مصر للدولة العثمانية، فيما أصدرت الحكومة المصرية المعينة حديثا قرارا يعطي القوات البريطانية البرية والبحرية حق استخدام الأراضي والموانئ المصرية في العمليات الحربية، وعطلت السلطات البريطانية الحياة النيابية طوال مدة الحرب حتى عام 1923، فيما لاحقت الحكومة المصرية المعارضين للاحتلال الذين هرب كثير منهم الى تركيا، وأصدرت الاحكام العرفية، وأصبحت مصر بالكامل تحت سلطة الاحتلال البريطاني، وحكومتها تدار من قبل الجيش ووزارة الخارجية البريطانية.

ثانيا، النخب العربية

- النواة الأولى لمنظمات المجتمع المدني غير الحكومية في الأقاليم العربية:

تشير تقارير القنصل البريطاني في القدس - جيمس فن – التي بعث بها الى السفير البريطاني في إسطنبول – كلارندون – مؤرخة في 1854/8/3، أن بعض العرب لا يكن احتراما للأتراك ويعتبرهم غزاة ومغتصبين للخلافة الإسلامية، وفي رسالة أخرى الى السفير البريطاني – مالسمبري – بتاريخ 1858/9/13، أن عرب فلسطين يفهمون من كلمة استقلال التي راجت في تلك الفترة، هو استقلالهم عن الدولة العثمانية، وكان للانقلاب العثماني سنة 1908، تأثير كبير على المثقفين العرب في فلسطين، فقد استقبلوه بحماسة بالغة، ورحبت به صحفهم، ولم تكتمل فرحة العرب بالدستور، إذ ما لبثت أن اختفت وتلاشت حماستهم وتأييدهم لقادة جمعية الاتحاد والترقي، وشعروا بخيبة الامل من سياسة التتريك التي اتبعوها، وتحول العتاب الى استنكار ورفض لهيمنة الاتحاديين على الحكم، ودعت النخب في فلسطين والشام العرب الى رفع راية الثورة في وجه الاتراك، في الوقت الذي أُنشأت فيه الكثير من الجمعيات السرية العربية، وانضم إليها مختلف المثقفين العرب والفلسطينيين القوميين، ونأتي على ذكر نبذة من التيارات السياسية والفكرية السائدة آنذاك:

- تأثر المثقفون ورجال الفكر العرب بالتيارات السياسية التي ظهرت في هذه الحقبة من الزمن، وتبنى بعضهم الدعوة الى الجامعة الاسلامية المنادية بالإصلاح الشامل في العالم الإسلامي، وانخرط بعضهم في صفوف جمعية الاتحاد والترقي.
- تبنى فريق آخر الدعوة الى القومية العربية، التي تجسدت في الجمعيات والأندية العربية العلنية والسرية.
- جمعيات تحت دعوات إسلامية جامعة تطالب بالإصلاح، وبعضهم انخرط في جمعية الاتحاد والترقي، وتبنى فريق آخر الدعوة الى القومية العربية عبر الجمعيات والأندية الأدبية العربية العلنية والسرية في إسطنبول والقدس، والبعض الآخر كان يسعى للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على أن تظل متحدة مع حكومة إسطنبول، وكان العديد من النشطاء السياسيين في تلك الجمعيات قد واجهوا الإعدام ضمن مجموعة من النخب السياسية والاجتماعية التي أعدمت في بيروت ودمشق بين عامي 1915-1916.
- عندما أعلنت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين في مكة، انضم الكثير من النشطاء العرب وأعضاء الجمعيات الى الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل، وأنشأت في القدس بعد احتلال الانجليز لها "المكتب العربي"، الذي كان مهتما بمساعدة اللجنة العربية للتجنيد في فلسطين لصالح الأمير فيصل.
- كان للسوريين واللبنانيين المقيمين في مصر أجهزة إعلامية من الصحف والمجلات، إضافة الى من كانوا يعملون منهم في سلك الخدمة المدنية في مصر والسودان تحت الإدارة البريطانية، وكان هؤلاء يأملون أن

يمتد الاحتلال البريطاني وإدارته الى سوريا ولبنان، وغنيا عن القول أن قسما آخر منهم داخل لبنان كان خاضعا للنفوذ الفرنسي، إضافة الى المقيمين في فرنسا.

- ولادة الحركة القومية العربية

التقت نخبة عربية مؤلفة من أبرز المثقفين والساسة العرب في قاعة الجمعية الجغرافية الفرنسية في سانت جيرمان بباريس يونيو/حزيران 1913- أي في السنة التي سبقت الحرب العالمية الأولى – عندما كانت الدولة قد خضعت لسياسة الاتحاديين، الذين مارسوا سياسة التتريك - من أجل المطالبة لأول مرة بحقوق عربية، فكان ذلك مدعاة للعرب الذين كانوا رحبوا في البداية بالانقلاب والدستور الجديد، للانقلاب على الاتحاديين، والمطالبة بحقوقهم القومية في إطار العثمنة، أي المطالبة باللامركزية العثمانية.

كان المؤتمر القومي العربي الأول عام 1913، الولادة المبكرة للحركة القومية العربية، التي وُلدت على أيدي مجموعة مما كان يُطلق عليهم المثقفون أو المتنورون العرب، الأعضاء في الجمعيات والمنتديات التي تأسست في مدن عربية في بلاد الشام وفلسطين والعراق، أو في العاصمة إسطنبول، بفعل وجود الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون فيها العلوم المدنية والعسكرية، وكانت تلك الجمعيات مكونة من عدد من الجماعات الثورية التي يغلب عليها الطابع الشبابي، والتي كانت توجهات أعضائها بشكل عام إصلاحية وليست انفصالية، سواء كانت سرية أو علنية، وتألف أول الأعضاء من سوريين وعراقيين ولبنانيين وفلسطينيين، بالإضافة لبعض المصريين مثل عزيز علي المصري (كان عزيز علي المصري جنرالا كبيرا في الجيش العثماني، رفض عزيز علي المصري التعاون مع الانجليز ودَعْمْ ثورة الشريف حسين، فذهب الى بغداد للقاء بعض القوميين العرب لتشكيل جيش عربي مناوئ للاستعمار القادم على المنطقة). حظيت أعمال المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس بتعاطف عربي كبير، سواء من خلال الرسائل التي وصلت الى المؤتمر، أو أخباره التي نشرت في الصحف والمجلات العربية.

تنوعت اتجاهات المؤتمرين الى أربعة:

- الاتجاه العروبي، الذي مثله عبد الكريم الخليل وجماعته في المنتدى الادبي (القسطنطينية).
- الاتجاه اللامركزي، الذي مثله عبد الحميد الزهراوي.
- الاتجاه الليبرالي، الذي مثله عبد الغني العريس صاحب المفيد.
- الاتجاه الإصلاحي، الذي مثله الشيخ أحمد طبارة وجماعته.

إلا أن أصحاب هذه الاتجاهات أعدموا جميعا بين عامي 1915-1916، على يد جمال باشا، وجدير بالذكر أن هؤلاء النخب لم يكونوا سوى واجهة لشبكات ساهموا في تشكيلها في الأقاليم العربية، وساعدت في النهاية في تمكين فرنسا وبريطانيا من احتلالها.

الفصل الثاني

1914 – الحرب العالمية الأولى – صراع اقتصادي

مدخل

كان السبب الرئيسي التراكمي هو طموح ألمانيا لاكتساب أسواق جديدة حول العالم، وبالتالي اكتساب نفوذ سياسي عالمي يحولها الى امبراطورية ودولة عظمى على غرار بريطانيا وفرنسا، بدأت ألمانيا بمزاحمة مناطق النفوذ الفرنسية والبريطانية حول العالم، ما أدى في النهاية الى اندلاع الحرب العالمية الأولى. ان معرفة التفاصيل الدقيقة من الوثائق الرسمية، والدراسات الاكاديمية الموثوقة، مهم لفهم التخطيط الاقتصادي والنقدي استعدادا للحرب، ثم كيفية إدارة اقتصاد حرب والحفاظ على سلاسل التوريد، وبالتالي الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي، وما واجهته هذه الدول من مصاعب هائلة حطمت اقتصاداتها وسلاسل التوريد فيها. ما هي العوامل التي أدت لصمود الحلفاء، وحفاظهم على الاستقرار الاجتماعي أثناء الحرب؟ ما هي الأسباب التي أدت لانهيار الوضع الاقتصادي في ألمانيا؟ وبالتالي اندلاع اضطرابات اجتماعية، أدت في النهاية لانهيار الجبهة الداخلية، وبالتالي الهزيمة المدمرة لدول المحور.

توترت العلاقات الدولية في بداية القرن العشرين، بسبب توالي أزمات البلقان، والصراع الفرنسي الألماني على الحدود، ونمو النزعة القومية داخل أوروبا، بالإضافة لتطلع بعض الأقليات الى الاستقلال، كما أدى التنافس الاقتصادي والتجاري بين الدول الكبرى آنذاك لاقتسام النفوذ عبر العالم، لا سيما بعد صعود الذئاب الامبريالية الجديدة ألمانيا، النمسا والمجر، التي نافست الدول الاستعمارية القديمة فرنسا وبريطانيا على الأسواق لتصريف فائض الإنتاج الصناعي والمالي، والتزود بالمواد الأولية.

أولا، التحضير للحرب

- التخطيط الاقتصادي قبل عام 1914:

فيما يؤكد الكثير من المؤرخين أن الدول الأوروبية العظمى قبل الحرب العالمية الأولى لم تخطط لاقتصاد الحرب، والسبب أن القادة السياسيين والعسكريين كانوا يتوقعون حربا قصيرة ليس دقيقا. كان التخطيط موجودا، إلا أن جودة التخطيط ودرجته كانت في بريطانيا أفضل من غيرها، ولكن ما ميز بريطانيا هو تخطيطها قبل اندلاع الحرب، وتخطيطها لجعل مفهوم شن الحرب الاقتصادية جنبا الى جنب مع الحرب العسكرية وسيلة للنصر. في التالي نطرح بعض الملاحظات العامة عن التخطيط الاقتصادي قبل الحرب:

- بالنسبة لفرنسا وروسيا والنمسا والمجر، لا يبدو أن أحدهم عمل قبل الحرب على اتخاذ الترتيبات اللازمة لكيفية تلبية الاحتياجات الغذائية، لأي من القوات المسلحة أو السكان المدنيين في حالة الحرب.
- أما بالنسبة لحالتي ألمانيا وبريطانيا، فقد كان في كلا الدولتين فهم جيد لمشاكل التوريد، التي تمت مناقشتها ابتداء من عام 1906 وصاعدا، ومع ذلك كان هناك القليل من العمل قد تم في هذا السياق، وهذا الفهم مرده الى انقضاء عهد جيوش المرتزقة، والانتقال الى عهد الجيوش الوطنية النظامية الحديثة والمحترفة.
- في ألمانيا، تم صب الجهد على تأمين الموارد اللوجستية وغيرها، ولكن تم تكريس الاعداد الاقتصادي للحرب في أبسط صورة لضمان توفير امدادات كافية من المدفعية والبنادق والذخيرة، بالإضافة الى الزي الرسمي

والاحذية، وجميع الأدوات التي يحتاجها الجيش للدخول في الحرب، وتأمين هذه المستلزمات طوال فترة الصراع. كان السبب في سطحية التخطيط الاقتصادي للحرب في ألمانيا، هو نقص الانسجام والتنسيق بين البيروقراطيات المتنافسة، وعدم استعداد هيئة الأركان العامة للجيش ذات النفوذ القوي في الدولة، للاعتراف بأن المجهود الحربي الألماني قد يكون عرضة للضغوط الاقتصادية.

- لم تُشرِك ألمانيا أو نادرا ما طلبت من القطاع الخاص أي مشاريع خاصة تهدف الى الاستعداد للحرب، والسبب هو ضعف الانفاق الحكومي للدول المتحاربة عامة كجزء من الدخل القومي، فرنسا 10%، ألمانيا 9.8%، بريطانيا 8.1%.

- بينما كان هناك وعي بالمطالب التي ستفرضها حرب عالمية على القوى العظمى، إلا ان قيود سلطة الدولة ذات العقيدة الرأسمالية، وضيق الأفق في النظرة العسكرية، ركز على مشاكل القتال بشكل شبه حصري، بدلا من عرض الصورة الاوسع لحاجات الدولة والشعب أثناء الحرب، بالإضافة الى عدم الاهتمام بإشراك القطاع الخاص، جعل التخطيط للحرب فكرة هرطقية.

- إلا أن بريطانيا كانت أول من مزجت بين الاقتصاد والاستراتيجيا، وكانت الحرب الاقتصادية هي الاستراتيجيا الكبرى للإمبراطورية البريطانية في حال اندلاع الحرب مع ألمانيا، ومزجت في هذا المخطط؛ القوة البحرية، الهيمنة المالية، وسيطرتها على الاتصالات السلكية واللاسلكية، وموقعها الجغرافي مقابل ألمانيا، وإمكانية تسخير هذه الميزات في خدمة الحرب الاقتصادية، كان الهدف هو قطع اتصالات الكابلات الألمانية، وقطع جميع التجارة البحرية، وبالتالي التسبب في المجاعة لإحداث انهيار سريع في الاقتصاد الألماني، وحصل هذا النهج على موافقة مجلس الوزراء عام 1912.

- التخطيط المالي:

- فرضت بريطانيا ضريبة الدخل قبل الحرب بعدة سنوات، لتمويل الانفاق العسكري المتنامي بشكل عام.
- عمل بنك إنجلترا على رفع نسبة احتياطي الذهب قبل الحرب العالمية الأولى، وتمكن من مضاعفته، إلا أنه بسبب اضطراره الى تمويل حلفائه أثناء الحرب لم تكن هذه الزيادة كافية.
- بدأ البنك المركزي الفرنسي باكرا، ومنذ عام 1897، قام برفع احتياطي الذهب، وعقد اتفاقية مع الدولة الفرنسية حددت مقدار وشروط التمويل الذي سيقدمه للدولة في حالة الحرب.
- أما بالنسبة للمصرف المركزي لألمانيا، فقد حذر حاكمه الدولة من مخاطر عدم السيولة في الحرب، وعمل على رفع نسبة الموجودات من الذهب، وعندما اندلعت الحرب عمل المركزي الألماني على خصم أذون الخزانة قصيرة الأجل كما طلبت منه الحكومة.
- في الولايات المتحدة عام 1912، استكمل الاحتياطي الفيدرالي عملية الاستحواذ على النظام النقدي للبلاد، وموّل انتخاب الرئيس وودرو ويلسون عام 1913، وبالتنسيق بين السلطة السياسية والنقدية في البلاد، تم اقراض الحلفاء المليارات من الدولارات لاستكمال حربهم والانتصار على دول المحور.

➢ ملاحظة1: جدير بالذكر أن البنوك المركزية لألمانيا وفرنسا وبريطانيا، بالإضافة الى الولايات المتحدة، هي بنوك خاصة مملوكة لجهات غير حكومية، وتفاوتت نسب تدخل الدولة في قراراتها.

- في النمسا والمجر، وبسبب الوضاع الأوضاع الاقتصادية الرديئة للدولتين، لم يتخذ بنكهما المركزي أي إجراء تقريبا قبل الحرب.

- في روسيا عمل البنك المركزي على رفع نسبة احتياطاته من الذهب قبل الحرب، واعتبره الاجراء الوحيد المطلوب.

➢ ملاحظة2: كانت البنوك المركزية في روسيا، والنمسا والمجر مملوكة من قبل الدولة كمصارف حكومية.

ثانيا، اقتصاد الحرب

من اجل تعظيم حجم الإنتاج الحربي، وبمجرد أن أصبح من الواضح أن الحرب ستستمر لوقت أطول بكثير مما افترضه الجنرالات والمخططون العسكريون من كلا الطرفين في البداية. جلبت معظم الدول المتحاربة رجال الاعمال الى الخدمة الحكومية، للإشراف على سلاسل التوريد وخطط التعبئة. أدى ذلك التوظيف الى نشوء ما سمي لاحقا بالمجمع العسكري الصناعي بشكله الحديث.

أثناء الحرب، زاد الناتج المحلي الإجمالي لثلاث دول من الحلفاء هم بريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة، لكنه انخفض في فرنسا وروسيا، وفي هولندا المحايدة، وفي دول المحور الرئيسية الثلاث ألمانيا، والنمسا والمجر. وصل الانكماش في الناتج المحلي في النمسا وروسيا وفرنسا والامبراطورية العثمانية، الى نحو 30 – 40%، بينما نما الاقتصاد البريطاني من ناحية الناتج المحلي الإجمالي نحو 7% من عام 1914 الى 1918، على عكس الاقتصاد الألماني الذي تقلص بنسبة 27%، حيث شهدت البلاد انخفاضا في الاستهلاك المدني، مع إعادة تركيز كبيرة للثروات نحو تصنيع الذخائر.

في عام 1915، وافقت اللجنة المالية الإنجليزية – الفرنسية على قرض بقيمة 500 مليون دولار من البنوك الأمريكية الخاصة، كان هذا المبلغ فاتحة قروض بعشرات مليارات الدولارات حصلت عليها بريطانيا، وبحلول عام 1916، كانت بريطانيا تمول معظم نفقات الحرب في الإمبراطورية، وبوضوح أكبر جميع نفقات إيطاليا، وثلثي نفقات الحرب في فرنسا وروسيا، إضافة الى نفقات بعض الدول الصغيرة.

- ألمانيا:

الاقتصاد الألماني 1890-1914

ظهرت ألمانيا كدولة امبراطورية في وقت متأخر مسيطرة على مستعمرات جديدة كتوغو والكاميرون، وجزء من غينيا الجديدة، وعدد قليل من جزر المحيط الهادئ، وشرق وسط وجنوب غرب أفريقيا، وكلها مناطق ذات قيمة اقتصادية محدودة، كما نافست القوى الدولية الأخرى على الساحة العالمية، وعلى رأسهم بريطانيا، في مناطق نفوذهم التقليدية في الصين، حيث وقعوا معاهدة في تسعينات القرن التاسع عشر مع الصين، ونما النفوذ الألماني في تركيا عدو روسيا التقليدي، فيما نافست فرنسا على المغرب.

كانت سرعة تقدم ألمانيا الى النضج الصناعي بعد عام 1890 مذهلة، إذ شهدت السنوات من 1895 الى 1907، تضاعف عدد العمال المنخرطين في بناء الآلات من حوالي نصف مليون الى أكثر من مليون عامل، وكانت النتيجة المباشرة لتوسيع العمالة الصناعية حدوث انخفاض حاد في الهجرة، من 130 ألف شخص سنويا في ثمانينات القرن التاسع عشر، اذ انخفض التدفق الى 20 ألف سنويا في منتصف تسعينات القرن التاسع عشر. استمر الفائض السكاني في مغادرة المقاطعات الشرقية لبروسيا، ولكن الوجهة كانت المصانع المتنامية والتي تضاعفت أعدادها في برلين والرور بدلا من الامريكيتين.

المخاوف البريطانية السابقة من المنافسة الألمانية أصبحت الآن مبررة تماما، بينما أنتجت بريطانيا ضعف انتاج ألمانيا من الصلب خلال أوائل سبعينات القرن التاسع عشر، تجاوز انتاج ألمانيا من الصلب انتاج بريطانيا في عام 1893،

وبحلول عام 1914، كانت ألمانيا تنتج ضعف انتاج بريطانيا من الفولاذ، علاوة على ذلك كان ثلث الصادرات الألمانية فقط في عام 1873، عبارة عن سلع تامة الصنع، وارتفعت نسبتها الى 63%، بحلول عام 1913، حيث سيطرت ألمانيا على جميع الأسواق القارية الرئيسية باستثناء فرنسا.

تحول تركيز الثروة الوطنية وكذلك السكان الى القطاع الصناعي الحضري بحلول عام 1900، حيث كان 40% فقط من الألمان يعيشون في المناطق الريفية بحلول عام 1910، بانخفاض عن 67%، عند ولادة الإمبراطورية الألمانية، وكانت المدن التي يزيد عدد سكانها عن 100 ألف نسمة تمثل خمس السكان في عام 1914، مقارنة مع واحد على عشرين عشية توحيد ألمانيا. أدى تطبيق التقنيات الزراعية المكثفة الى مضاعفة قيمة جميع المنتجات الزراعية على الرغم من الانخفاض الحاد في عدد سكان الريف، وشكلت الصناعة 60% من الناتج القومي الإجمالي في عام 1913.

نمت الطبقة العاملة الألمانية بسرعة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حيث بلغ إجمالي العضوية النقابية 3.7 مليون عامل في عام 1912، منها 2.5 مليون منتسب الى النقابات الاشتراكية، في نفس الوقت الذي غطى فيه قانون بسمارك للرعاية الاجتماعية حوالي 13.2 مليون عامل بحلول عام 1911، كما حققت القوى العاملة الألمانية مكاسب اقتصادية كبيرة، فبين عامي 1867 و 1913، انخفض متوسط عدد ساعات العمل سنويا بنسبة 14%، كما أظهرت كلّ دراسة للدخل الحقيقي ارتفاعا سريعا حتى عام 1902، ثم زيادة متواضعة سنويا بعد ذلك، كما ارتفع نصيب الفرد من الدخل القومي من 352 مارك ألماني الة 728 مارك خلال حياة الإمبراطورية.

كانت عملية التصنيع سريعة، إلا أنها حدثت فقط في قطاعات معينة من الاقتصاد، ولم تتأثر قطاعات أخرى إلا بشكل هامشي، إذ استمر حوالي مليوني عامل ألماني في الأعمال الحرفية التقليدية، حتى عندما أصبحت الأمة عملاقا صناعيا.

في حين تميزت ألمانيا بمزارع وكارتيلات النبلاء (يونكر، JUNKER)، - كان اليونكرز عاملا مهما في بروسيا بعد عام 1871 في القيادة الألمانية العسكرية والسياسية والدبلوماسية، وأشهرهم كان المستشار أوتو فون بسمارك الذي تولى السلطة في ألمانيا من 1871 الى 1890 - ولكن ألمانيا أيضا كانت دولة المزارع ذات الحجم القزم، اذ كان حوالي 60% من المزارعين يمتلكون أقل من 5 أفدنة، وكذلك كان هناك الكثير من الورش الصغيرة، كانت المصانع الألمانية أكبر وأكثر حداثة من نظيرتها البريطانية والفرنسية، لكن قطاع ما قبل الصناعة كان متخلفا.

- ألمانيا في الحرب

خلال الأيام الأولى من الحرب العالمية الأولى، شعر الالمان بالترابط والوحدة بين جميع طبقات الشعب، وبدت الاختلافات الطبقية والدينية والسياسية وكأنها اختفت مع تدفق الألمان الى مراكز مدنهم لإظهار الدعم لخوض بلادهم الحرب الوشيكة، وتصويت الأحزاب بأغلبية ساحقة، بما في ذلك المعارضة الاشتراكية لصالح اعتمادات الحرب، هذه النشوة التي كانت سائدة في الأيام الأولى أخفت الوضع الخطير في ألمانيا، حيث قاد الحلفاء الروس والإنجليز والفرنسيين البحار، وكان بإمكانهم الوصول الى الموارد الطبيعية في العالم من خلال امبراطورياتهم واتصالهم الوثيق بالولايات المتحدة الامريكية، وكان مجموع عدد سكانهم أكثر من ضعف عدد سكان ألمانيا والنمسا والمجر، وتم حصار ألمانيا على الفور، التي اضطرت للاعتماد على مواردها الخاصة وموارد النمسا والمجر، والدول المجاورة المحايدة مثل هولندا وسويسرا والدنمارك.

كان للعمليات الاقتصادية والقدرة على تحمل الخسائر والتعبئة أثر حاسم على نتائج الحرب. كان للفوضى الاقتصادية في روسيا والنمسا والمجر وألمانيا، السبب المهم الذي أدى في النهاية الى انهيار هذه الدول، التي كانت دولا داخلية قارية ففاقم الحصار الاقتصادي من معاناة شعوبها، وكانت الظروف المعيشية أسوأ مما كانت عليه في الدول

الخارجية – دول الحلفاء – التي حافظت على حرية الوصول الى الاقتصاد العالمي والواردات من الخارج، وتحولت الاحتجاجات الاقتصادية في دول المحور في المرحلة الأخيرة من الحرب الى حركات جماهيرية ضد الحرب والأنظمة السياسية القائمة، وفي ظل الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية المتفاقمة سحبت قطاعات كبيرة من الطبقة السياسية الحاكمة والجيش (انقسام) دعمها للحكام، وانحازت الى جانب المعارضة.

- كانت دول المحور تمتاز بخطوط مواصلات داخلية، والتي كانت قيّمة في الحرب على جبهتين، كما كان لديهم هيكل قيادة موحد على عكس الحلفاء.
- نفذت مخزونات الذخائر التي تراكمت قبل الحرب في غضون أشهر، كما تمثلت المشكلة في الحصول على المواد الخام اللازمة لتصنيعها.
- أدى تعبئة القوى العاملة الصناعية وتجنيدهم في الجيش الى التسبب في اضطرابات كبيرة على صعيد الإنتاج الصناعي.
- تناقص كبير في كميات الأغذية في الأسواق، فاضطرت الدولة الى تقنين الخبز والمواد الغذائية الأساسية الأخرى، وفي العامين الأخيرين للحرب، بدأ الجيش يسطو على الطعام في الأرياف.
- أدى عدد الفلاحين الضخم في ألمانيا، والذين كانوا يشكلون 35% من أعداد القوى العاملة عام 1913، الى عرقلة جهود التعبئة وإعادة توجيه الموارد من الزراعة، حيث فضّل المزارعون تخزين الطعام بدلا من بيعه بأسعار منخفضة، على عكس بريطانيا التي عملت على شراء منتجات المزارعين بأسعار مرتفعة.
- تم فرض نظام الحصص الغذائية على الشعب الألماني، وكان يقل هامش الكميات والأوزان كلما طالت فترة الحرب.
- انتشرت السوق السوداء، إذ فضل المزارعون تصريف انتاجهم عن طريق القنوات غير الرسمية لزيادة الأرباح.
- زادت الأجور الاسمية خلال الحرب في العديد من القطاعات، ومع ذلك فإن القوة الشرائية المقاسة بالأجور الحقيقية لم تزداد، بل انخفضت باستمرار بسبب تضخم أسعار المواد الغذائية غير المتناسب.

- بريطانيا:

تميزت دول الحلفاء بطول النفس، فكلما طال أمد الحرب برزت مزاياهم، وزادت نقاط قوتهم، وذلك بسبب اقتصاداتهم الأكبر والاعمق، والأكثر تنوعا، ووصولهم الأفضل الى الموارد والامدادات العالمية. في المحصلة أنفقت دول المحور 61 مليار دولار على الحرب، في المقابل أنفق الحلفاء 147 مليار دولار عليها.

كان بإمكان بريطانيا الاستعانة بجنود المستعمرات حيث ساهمت الصين بحوالي 140 ألف متطوع من مواطنيها، للقيام بالأعمال اللوجستية خلف خطوط القتال في أوروبا، كما استعانت بحوالي مليون وأربعمائة ألف جندي من الهند للقتال في الخطوط الامامية على الجبهة الشمالية لأوروبا، إضافة الى آلاف الجنود من مستعمراتها في أفريقيا.

نفذت احتياطات الذهب، والاستثمارات الخارجية والإئتمانات الخاصة، ما أجبر بريطانيا على اقتراض أربع مليارات دولار من وزارة الخزانة الامريكية بتمويل من بنك جي بي مورغن عامي 1917-1918، وسمحت شحنات المواد الخام والأغذية الامريكية لبريطانيا بإطعام نفسها وجيشها، مع الحفاظ على إنتاجيتها. كان التمويل ناجحا عموما، لأن

المراكز المالية القوية للمدن قللت من الآثار الضارة للتضخم، مقارنة بظروف أسوأ بكثير كانت سائدة في ألمانيا، التي انخفض فيها الاستهلاك الكلي للمواطنين بنسبة 18% من عام 1914 الى 1919.

في بريطانيا، تم تشجيع النقابات العمالية، فنما عدد أعضائها من 4.1 مليون عام 1914، الى 6.5 مليون عام 1918، فبلغت ذروتها عام 1920، مع 8.3 مليون منتسب، قبل أن ينخفض هذا الرقم الى 5.4 مليون عام 1923. كانت النساء عاملا فاعلا، فدخلت العديد منهن الى مصانع الذخائر، وتولت وظائف أخرى في الجبهة الداخلية، التي أخلاها الرجال المنهمكون في المعارك على الجبهات الأمامية.

كانت الطاقة عاملا حاسما في المجهود الحربي البريطاني، وجاءت معظم إمدادات الطاقة من مناجم الفحم في بريطانيا، حيث كانت المشكلة متعلقة بتوفر العمالة، وكان من المهم أيضا تأمين تدفق النفط للسفن والشاحنات والاستخدام الصناعي. لم تكن هناك آبار نفط في بريطانيا، لذا كانت تستورد كل حاجاتها منه، فيما بلغ إجمالي الاستهلاك البريطاني الى 827 مليون برميل، زودتها الولايات المتحدة بنسبة 85% من حاجاتها النفطية، وكانت الولايات المتحدة تضخ ثلثي نفط العالم عام 1917، فيما ضمنت الرقابة الحكومية البريطانية المشددة تغطية جميع الاحتياجات الأساسية، فيما خُصِّص مؤتمر للبترول بين الحلفاء لتأمين الامدادات الامريكية من النفط لإيطاليا وفرنسا وبريطانيا.

- روسيا:

وقعت ثورة في روسيا عام 1905، بسبب إلغاء نظام القنانة عام 1868، وكانت ثورة عام 1917 استمرار لثورة 1905 الفاشلة، فيما سبقت ثورة برجوازية الثورة البولشيفية عام 1917 أوصلت الى السلطة رجال درسوا وتعلموا في أوروبا، وتشربوا بالثقافة الغربية، ولم يكونوا يشبهون مواطني روسيا، ويعولون على المؤسسات الأوروبية التي تدعي الديمقراطية، ويسترشدون بقيم الديمقراطية الأوروبية.

- روسيا في الحرب

عانت روسيا القيصرية كثيرا بسبب انخراطها في الحرب العالمية الثانية. توضح النقاط التالية بعض أهم مظاهرها وتداعياتها:

- حصار اقتصادي عثماني من جهة الجنوب، أغلقت الدولة العثمانية الممرات البحرية الواقعة تحت سيطرتها، أمام السفن التجارية الروسية.
- حصار اقتصادي ألماني من جهة الشمال، إغلاق الممرات البحرية في بحر البلطيق أمام السفن التجارية الروسية.
- أدى الحصار الى رفع أسعار السلع عدة أضعاف.
- أدى رفض بريطانيا لدعم سعر صرف الروبل بالذهب للتضخم المالي، وتوقف معظم المنتجين في روسيا عن بيع الحبوب بداعي انتظار استقرار الأسعار، وبالتالي أصبح السكان يعانون من نقص في الاحتياجات الغذائية الأساسية، فبدأت أعمال الشغب والاحتجاجات أمام المخابز.
- زاد الحصار من مصاعب استيراد التجهيزات والاحتياجات العسكرية.
- تفاقم التوتر جراء انقسام المجتمع، واشتداد عود المعارضة السياسية في وجه الامبراطور نيكولاي الثاني، الذي لم يجد نفسه في مواجهة التيارات الراديكالية فحسب، بل وحتى بعض الامراء من عائلة رومانوف.

- قبيل اندلاع احتجاجات أكتوبر التي أدت الى الثورة البولشيفية، كتب رئيس مجلس دوما الدولة، ميخائيل روزديانكو:" تدهور الوضع جدا فيما يتعلق بالمواد الغذائية، فالمدن جائعة، والناس في الريف حفاة، ومع ذلك يشعر الجميع أن في روسيا ما يكفي من الغذاء، ولكن يتعذر اقتناء أي شيء نتيجة خراب المؤسسات في الجبهة الداخلية، وفي شوارع بتروغراد ظهرت حشود تجمل لافتات كتب عليها "تبا للحرب"، أما الخسائر الفادحة على الجبهات فعززت الرأي القائل بأن القيصر نيقولاي الثاني لم يعد صالحا لحكم البلاد".

- كما كتب النائب فاسيلي شولغين:" كان مستحيلا العثور في جميع أنحاء المدينة الكبيرة ولو على بضع مئات من الناس الذين يتعاطفون مع السلطة، لكن القضية تكمن في أن السلطة نفسها لم تتعاطف مع نفسها، وفي حقيقة الامر لم يكن ثمة وزير واحد من شأنه أن يثق بنفسه وما يقوم به، كانت طبقة حكام الماضي في طريقها الى الاندثار".

- كانت الجماهير تنادي في الاحتجاجات أعطونا الأرض لكي نزرعها.

- بدأت الجماهير تعتمد أسلوب – انهب المنهوب – ومارسوا السلب والنهب وتصفية الحسابات مع الاقطاعيين ميدانيا وبشكل مباشر.

- الحكومة البرجوازية المؤقتة بعد ثورة أكتوبر، تلكأت في حل المعضلات التموينية وغيرها، ولم تجتمع اللجنة التأسيسية التي شكلت بعد الثورة للبحث في مسألة الدستور إلا بعد ثلاثة أشهر من قيام الثورة، وكانت التناقضات داخل الحكومة المؤقتة على شاكلة المنظرين والمفكرين هي سبب التأخير، فيما الشعب كان يريد حلولا سريعة ذات أثر ملموس.

- كان البلاشفة قبل انقلاب أكتوبر ينشطون تحت شعار كل السلطة للسوفييتات – أي للشعب – فيما أقدموا بعد سيطرتهم على السلطة الى احتكارها لصالحهم وحدهم.

- القطاعات العسكرية المنتشرة للجيش الروسي في المدن، والتي كانت حانقة على الوضع، تمكن البلاشفة من استغلالها للسيطرة على السلطة.

- تمرد الجنود على ضباطهم، ووصف الاميرال روبرت فيرين، الحاكم العسكري لقلعة كرونشتادت البحرية:" إن قلعة كرونشتادت مخزن بارود حقيقي، يكاد يحترق الفتيل فيه بالكامل، وبعد دقائق سيدوي الانفجار، نحن ندين من تأكدت مشاركتهم في الاحتجاجات ونرسلهم الى المنافي، ونعدمهم، ولكن بلا جدوى، فمن المستحيل إحالة 80 ألف جندي الى القضاء".

- أصبح الجنود من طبقة الفلاحين الأكثر تحمسا لشعارات البلاشفة، بتحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية ضد السلطة البرجوازية التي اعتبروها مستبدة بحقهم كفلاحين في زمن السلم، وكعسكريين في زمن الحرب.

فائدة:

- النقص الناجم في الامدادات بسبب الحصار الاقتصادي على ألمانيا، كان أحد أهم الأسباب الرئيسية لهزيمتها.
- إمكانيات الحلفاء لتعويض النقص، والوصول الى الموارد الغذائية، والمواد الأولية اللازمة للصناعات الحربية لاستمرار تغذية آلتهم العسكرية، كان أحد أهم أسباب انتصارهم في الحرب.

- التمويل الأميركي لبريطانيا وفرنسا أثناء الحرب، وعلى وجه الخصوص بريطانيا التي اضطلعت بدور تمويل حلفائها، كان من أهم عوامل استمرار الدولة في تأمين حاجيات سكانها، وتمويل المجهود الحربي، بينما لم تحصل ألمانيا على أي تمويل.
- ارتهان الاقتصاد الروسي للمضاربين وأصحاب الاحتكارات، بالإضافة لعدم رعايتها لطبقة الفلاحين تسبب بأزمة غذائية كبيرة، انعكست على معنويات السكان والجيش، وتسبب بحدوث اضطرابات أدت في النهاية الى سقوط القيصرية الروسية.
- الحكام الشيوعيون الجدد في روسيا، ووفق اتفاقات سرية مع طرفي النزاع – قوى المحور والحلفاء- شحنوا الذهب الروسي الى البنوك المركزية في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة.
- الاستعانة بالسكان الأصليين للمستعمرات البريطانية والفرنسية، في الهند والصين ومصر وشمال أفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى ومختلف المستعمرات، زودهما بملايين المقاتلين الذين قاتلوا على الجبهات الامامية مقابل الجيش الألماني، وتم استخدامهم حتى كعمال نظافة في المدن في الخطوط الخلفية، مكان الموظفين من السكان المحليين الأوروبيين، الذين أُرسلوا الى التجنيد الاجباري في جيوش الحلفاء.
- اقتصاد تركي، بدائي وضعيف، وانهيار قيمة العملة الورقية التركية بداية الحرب.

الفصل الثالث

1945 – الحرب العالمية الثانية – صراع أيديولوجي

مدخل

أفضت الحرب العالمية الثانية الى تراجع كبير في القوة العسكرية والاقتصادية، وبالتالي النفوذ السياسي لدول الاستعمار القديم فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط، وتقدم قوتين عظميين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. في الفترة الفاصلة بين تبديل الحرس القديم بالحرس الجديد في المنطقة استطاعت القوى التحررية في بلدان حدود سايكس بيكو من نيل الاستقلال الوطني لبلادها وشعوبها، تمثلت بالأساليب التالية؛ مفاوضات سياسية، مثال مصر؛ ضغط عسكري ومفاوضات سياسية، مثال العراق؛ حرب تحرير، مثال الجزائر. بالطبع كان لعوامل التنافس البيني الأميركي والاوروبي، وكلاهما مع الاتحاد السوفياتي، الى المساعدة والتسريع في نيل استقلال هذه الدول، إلا أن العلامة الفارقة كانت عندما نالت مصر استقلالها، وتمكن النظام الجديد بقيادة عبد الناصر من الإمساك بسياسات البلاد، ومساعدته الثورة الجزائرية على كل الصعد في الانتصار وتحقيق الاستقلال.

ان وجود نظام مستقل غير تابع للخارج ويشكل حلفا إقليميا، ويساعد بكل ما لديه من إمكانات وإخلاص شعبا يقود حرب تحرير ضد دولة كبرى، فإن النتيجة على الأرجح ستكون انتصار هذا الشعب على قوة دولية كبرى، وهذا بالتحديد ما حصل عندما دعمت مصر الشعب الجزائري في حربه التحريرية. أوردنا هذا المثال للإشارة الى أن حلف محور المقاومة وعلى رأسه إيران، الدولة المستقلة والسيدة غير الخاضعة للخارج، الذين يدعمون الشعب الفلسطيني في حربه التحريرية ضد أقوى دولة في الشرق الأوسط وهي كيان العدو الصهيوني، سوف يصلون الى النتيجة نفسها التي وصل إليها الشعب الجزائري بدعم مصري، في نيل استقلاله وحريته، بل أفضل من ذلك أيضا، سوف يؤدي هذا التحرير الى سقوط وزوال الأنظمة العميلة للغرب في سائر أنحاء المنطقة، ما ينقلها الى حقبة جديدة من الوحدة والتقدم والازدهار على كافة الصعد.

أولا، أعماق الأزمة

من المفيد لنا في البداية معرفة أن الحرب العالمية الثانية لم تقع بسبب صعود المانيا النازية من كبوة هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، بل لأنه أصبح في روسيا نظام شيوعي غير متعاون، هو نظام جوزيف ستالين.

اعتبرت دول أوروبا الغربية في العشرينات من القرن السابق، أن وصول جوزيف ستالين الى قمة السلطة في موسكو، أصبح يشكل تهديدا استراتيجيا لأوروبا الغربية، لا سيما بعد تصفيته لرفاق الثورة السابقين، واستفراده بالسلطة في الاتحاد السوفياتي، وهروب تروتسكي المقبول غربيا، والذي تعاون معهم في مفاوضات الصلح بعد انسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى وتسلم الشيوعيين للسلطة. كانت الدول الأوروبية بحاجة لإيجاد كيان سياسي متماسك قوي يقف حائلا بين الاطماع السوفياتية الستالينية ودول أوروبا الغربية. وقع الخيار على ألمانيا، التي خرجت محطمة عسكريا واقتصاديا، تتنازعها الصراعات الطبقية والأيديولوجية إثر هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

بعد وصول أدولف هتلر الى السلطة، عملت الدول الأوروبية الكبرى فرنسا وبريطانيا على التساهل مقابل الجهود الألمانية لإعادة بناء الجيش ومده بالصناعات العسكرية والتكنولوجية الثقيلة والمتقدمة، ونقضها الاتفاقيات المَوقعة

والتخلف عن دفع تعويضات الحرب العالمية الأولى، والسيطرة على أراضي الدول المجاورة بحجة توحيد الشعب والقومية الألمانية، كما عملت الحكومة النازية على النهوض بالاقتصاد الألماني الصناعي والزراعي، وانشاء بنية تحتية حديثة في البلاد، واستعانت الحكومة النازية في هذا السبيل بكبار المصرفيين والصناعيين الأمريكيين، الذين موّلوا المشاريع الحكومية، وأقاموا الروابط والشراكات الصناعية والاقتصادية المختلفة مع نظرائهم الألمان، مما جعل من ألمانيا دولة تملك جيشا قويا واقتصاد حديث ومتقدم، ونظاما سياسيا مركزيا قويا.

كان الهدف من دعم ألمانيا هو وقوفها قاعدة أمامية في وجه الخطر الشيوعي، الذي يطل برأسه عسكريا وايديولوجيا في غرب ووسط أوروبا، من الحرب الأهلية الإسبانية التي وقعت بين الفاشيين الاوروبيين والشيوعيين المدعومين من موسكو بشكل أساسي، ولاحقا بينهم وبين الشيوعيين التروتسكيين، الى الأحزاب والحركات الشيوعية التابعة للكومنترن، والتي بدأت بالانتشار وتحقيق نسبة عالية من التأييد الجماهيري، لا سيما بين الطبقات العاملة، وغيرها من الاختراقات في البيئات والمجتمعات الأوروبية. اضطرت الدول الكبرى آنذاك، بل حتى الفاتيكان الى التساهل والتساكن مع الخطر الفاشي في إسبانيا وإيطاليا وألمانيا، وأنظمتهم البوليسية، بل وحتى تقديم الدعم لهم وعقد الاتفاقات معهم، من أجل تثبيط الشيوعيين المحليين وقمع أحزابهم، ومحافلهم في البر الأوروبي. لقد تم السماح لهذه الدول بامتلاك كافة أسباب القوة بما فيها الديمغرافية، الامر الذي أدى لابتلاع دول وعرقيات بكاملها، لا سيما تلك التي كان وجودها من نتائج الحرب العالمية الأولى مثل تشكوسلوفاكيا. كان الهدف من قبول بريطانيا وفرنسا لاحتلال هتلر لأراضي التشيك هو وضع الجغرافيا الألمانية على تماس مع جغرافيا الاتحاد السوفييتي من جهة أوكرانيا، بالإضافة للسماح لهتلر بالسيطرة على دولة كانت قائمة بذاتها، بل كانت تحكم ألمانيا سابقا تحت اسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة، النمسا على وجه التحديد، حيث ضمتها ألمانيا النازية إليها سلما، مما أدى لإضافة حوالي 7 مليون نسمة الى عديد الشعب الالماني. كان الهدف النهائي المطلوب غربيا، هو الحرب بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي وإضعاف القوتين وتقسيمهما لاحقا، إلاّ أن الرياح جرت بما لا تشتهي سفن الغربيين. ظهرت ألمانيا كدولة متغولة تريد ابتلاع الجغرافيا السياسية في وسط وشرق أوروبا، دون ان تقدم على شن الحرب على الاتحاد السوفياتي، الامر الذي أثار حنق الفرنسيين والإنجليز، فأعلنوا الحرب عليها بعد غزوها لأراضي بولندا وتقسيمها بين الاتحاد السوفياتي وألمانيا، كجزء من اتفاقية تقاسم مجالات النفوذ في البلطيق وشرق أوروبا بين البلدين، والتي عرفت باتفاقية روبنتروب – مولوتوف.

نستفيد من هذا العرض التاريخي الموجز للدبلوماسية السرية التي توضح الأسباب الحقيقية لاندلاع الحرب العالمية الثانية. تكرر الدول الغربية اليوم ما فعلته قبل الحرب العالمية الثانية، بخلق موجة من التطرف اليميني في أوروبا بشكل عام، وفي أوروبا الشرقية بشكل خاص، وتخلق مجال جيوسياسي معسكر ممتد من بحر البلطيق شمالا، الى البحر الأسود جنوبا، وهو حزام من الدول المعادية لروسيا في دول البلطيق وبولندا وأوكرانيا وغيرها، تزود الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي هذه الدول بالأموال والأسلحة والتقنيات العسكرية المتطورة، وتعمل على توفير مظلة عسكرية لأنظمتها في مواجهة أي تدخل روسي عسكري، إلا أن العامل المتغير والخطير بالنسبة للغرب عموما هو الصعود الصيني الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي والعسكري، وحتى المالي، وتشكيلها حلفا سياسيا مع روسيا في مواجهة الهيمنة الغربية، لذا اضطر الغرب تقسيم قواه الى جزئين هما؛ المعسكر الانغلوساكسوني الذي سيدير المواجهة مع الصين، ومعسكر الاتحاد الأوروبي الذي سوف يكمل سياسة احتواء واستنزاف روسيا.

يمر بمنطقتنا طريق الحرير الصيني (مشروع الحزام والطريق)، من الجهة الشمالية عبر إيران وتركيا، ويتفرع ليمر بسوريا الى البحر المتوسط، ومن الجهة الجنوبية الغربية عبر خليج عدن والبحر الأحمر وصولا الى البحر المتوسط الى

أوروبا، لذا تتقاسم الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا مع الاتحاد الأوروبي مهمة إدارة سياسات المنطقة، مع توسيع هامش التدخل الأوروبي بقيادة فرنسا.

ثانيا، نتائج الحرب على الدول الاستعمارية القديمة

لم تصل فرنسا وبريطانيا عبر توظيف ألمانيا النازية، الى مبتغاهما الرئيسي بالقضاء على الخطر الشيوعي، سواء العسكري أو الأيديولوجي في أوروبا، بل ما حدث هو العكس تماما، حيث تقدمت القوات السوفياتية واحتلت الجزء الشرقي من ألمانيا بما فيها العاصمة برلين، إضافة الى كامل بولندا وتشيكوسلوفاكيا، بلغاريا ورومانيا والمجر، وتشكلت أنظمة شيوعية جديدة في أوروبا على رأسها يوغوسلافيا، وألبانيا، كما زادت قوة وشعبية الأحزاب الشيوعية واليسارية في إيطاليا واليونان وغيرها، وأضحى غرب أوروبا بكامله تحت خطر الغزو السوفييتي. عمليا انتصر ستالين، ولولا الحماية والردع المتمثل بالقنبلة النووية الأمريكية، لغزت الجيوش الروسية غرب أوروبا، أما الإنجاز الوحيد الذي حققته الامبراطوريتان الاوروبيتان هو تدمير ألمانيا ونظامها النازي، الذي ساهموا في صنعه بطريقة أو بأخرى - ثم انقلب عليهما - لصدّ خطر الشيوعية الستالينية، وحماية نفسيهما من الغزو السوفييتي.

أدت الحرب العالمية الثانية الى استنزاف ما تبقى من قوة لدى الدول الاستعمارية القديمة فرنسا وبريطانيا، فقد دمرت الحرب حواضر هذه البلاد، وبنيتها التحتية، بالإضافة الى مجتمعاتها واقتصاداتها، وأزهقت أرواح الملايين من سكانها. لم تعد لدى هذه الامبراطوريات القدرة على الدفاع عن مستعمراتها وإظهار قوتها للسكان المحليين وحركات التحرر، في الوقت الذي كانت فيه تحت خطر غزو الاتحاد السوفياتي. اندلعت الثورات الشعبية وتسلحت حركات التحرر في شرق أسيا وجنوب شرق آسيا، وانتقلت بعد ذلك الى الشرق الأوسط والدول العربية، وأفريقيا السوداء، يمكن تلخيص هذه الأسباب الى عاملين؛ العوامل الخارجية، وعامل نمو الوعي الوطني في المستعمرات.

- العوامل الخارجية:

فقدت القوى الاستعمارية الأوروبية، بسبب الحرب العالمية الثانية (فرنسا- إنجلترا- هولندا- إيطاليا) القوة والمكانة التي كانت عليها قبل عام 1939؛

- فرنسا، خضعت فرنسا للاحتلال النازي سنة 1940، ونزع الجيش الياباني أسلحة جنودها في مستعمراتها في الهند الصينية.
- إنجلترا، فرضت قوات المحور حصارا بحريا وقُصفت جوا بالطائرات، كما سيطرت اليابان على مستعمراتها في الشرق الأقصى.
- إيطاليا، فقدت مستعمراتها في ليبيا والصومال وأثيوبيا، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية.
- هولندا، سيطرت اليابان على مستعمراتها في اندونيسيا، ونزعوا أسلحة جنودها في تلك المستعمرات، كذلك سلح اليابانيون القوى السياسية لمساعدتهم في صد أي غزو أميركي لإندونيسيا.
- الدعاية اليابانية والألمانية التي كانت تحض سكان المستعمرات على مقاومة الاستعمار، وإعلان الاستقلال.
- تصعيد الصراع بين القوى العظمى الجديدة في إطار الحرب الباردة.
- مساندة الأمم المتحدة لحق الشعوب في تقرير مصيرها.
- مساندة دول عدم الانحياز لحركات التحرر الوطني في العالم.

- العوامل الداخلية:
  - اجماع القوى التحررية من أحزاب ونقابات وجمعيات ثقافية على ضرورة التخلص من الاستعمار.
  - دعم الشعوب للنخب في حملتها للتحرر والاستقلال.
  - مطالبة حركات التحرر الوطني للحلفاء بتطبيق مبدأ "حق الشعوب في الحرية واختيار نظام الحكم الذي يلائمها"، كما جاء في الميثاق الأطلسي الصادر عام 1941، لا سيما بعد أن ساهمت المستعمرات في هزيمة قوى المحور.
  - من الأدوات التي استخدمت؛ الحملات الصحافية، المقاطعة ورفض التعاون مع المستعمر، الإضرابات، المظاهرات وغيرها.

ما يهمنا هنا هو تقديم نموذجين للاستقلال والتحرر، مع أن بدايتهما كانت منفصلة، إلا أن أحدهما قدم العون المادي والمعنوي والعسكري للآخر من اجل نيل استقلاله، هذين النموذجين هما مصر والجزائر.

- نموذج استقلال مصر ودعمها لثورة التحرير الجزائرية:

استبقت بريطانيا اندلاع الحرب العالمية الثانية، بتوقيع معاهدة مع مصر سميت بمعاهدة 1936، وقد جاءت المعاهدة بعد اصدار بيان الحكومة المصرية بوفاة الملك فؤاد واعتلاء ابنه فاروق العرش، وتم تعيين مجلس وصاية نظرا لصغر سنه، ثم شكل حزب الوفد الوزارة بعد فوزه في الانتخابات البرلمانية، وطالب بإجراء مفاوضات مع بريطانيا، لكن الحكومة البريطانية تهربت، فقامت الثورات، واضطرت الحكومة البريطانية للتراجع والدخول في مفاوضات بقيادة المندوب السامي البريطاني السير مايلز لامبسون، مع الحكومة المصرية، في التالي أبرز بنود المعاهدة:

- انتقال القوات العسكرية البريطانية من المدن المصرية الى قناة السويس.
- تحديد عدد الجنود البريطانيين بحوالي 10,000 آلاف جندي في حالة السلم، أما في حالة الحرب يحق لبريطانيا زيادة عدد جنودها، بلا سقف محدد.
- في حالة الحرب، تلتزم الحكومة المصرية بتقديم كل التسهيلات والمساعدة للقوات البريطانية، ولبريطانيا الحق في استخدام موانئ مصر ومطاراتها وطرق المواصلات فيها.
- بعد مرور 20 عاما من تنفيذ المعاهدة يبحث الطرفان فيما إذا كان وجود القوات البريطانية ضروريا، لأن الجيش المصري يكون قد أصبح قادرا على تأمين حرية وسلامة الملاحة في قناة السويس، وحمايتها، وعند حدوث الخلاف بين الطرفين يجوز عرض المسألة على عصبة الأمم.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وطدت بريطانيا الظروف لليهود المهاجرين والمستعمرين لتشكيل دولتهم وإعلان استقلالها، فاندلعت حرب عام 1948، التي شاركت فيها مصر وهُزمت. ظهر تنظيم الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر الذي عاش الهزيمة في حرب 48، وفي الثالث والعشرين من يوليو/تموز 1952، قاد الضباط الاحرار انقلابا عسكريا، واجبروا الملك فاروق على التنازل عن العرش، وتتلخص أسباب ثورة 1952، بالتالي:

- هزيمة مصر في حرب 1948.
- عرض قضية الجلاء البريطاني عن مصر على هيئة الأمم المتحدة، وعدم صدور قرار من مجلس الامن لصالح مصر.

- فرض الحماية البريطانية على مصر وإرسال معظم قواتها الى السودان، للمساهمة في إخماد ثورة المهدي.
- تقليص حجم الجيش، وإغلاق الكليات البحرية والحربية.
- سوء الحالة الاقتصادية في البلاد، وفقدان العدالة الاجتماعية بين الطبقات.
- سوء تصرف الملك وفساده.

○ أبرز مبادئ ثورة 23 يوليو:

- القضاء على الاستعمار.
- بناء جيش وطني.
- القضاء على الاقطاع وسيطرة الرأسماليين على الاقتصاد.

○ أهم إنجازات الثورة:

- أهم الإنجازات السياسية:

1. تأميم قناة السويس.
2. توقيع اتفاقية الجلاء البريطاني عن مصر بعد أكثر من 70 عاما من الاحتلال.
3. قيادة تغيير ثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي شامل في مصر، ما قضى على طبقة الاحتكارات الرأسمالية، وطبقة الاقطاعية الزراعية، وأخرجت غالبية الشعب المصري من حالة الفقر المدقع والجهل.
4. بناء وقيادة حركة قومية عربية للعمل على تحرير فلسطين.

- الإنجازات العربية:

1. توحيد الجهود، وحشد الطاقات العربية لصالح حركات التحرر العربية.
2. تقديم تجربة عربية في الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958.
3. الدفاع عن حق الصومال في تقرير مصيره.
4. المساهمة في استقلال الكويت.
5. دعم الثورة العراقية.
6. مساعدة اليمن الجنوبي في التحرر من الاحتلال البريطاني.
7. دعم حركات التحرر في تونس والمغرب حتى الاستقلال.
8. دعم حرب التحرير الجزائرية، بكل قوة ماديا وعسكريا واعلاميا، حتى الاستقلال.
9. أصبحت مصر مركز الثقل في العالم العربي وأفريقيا، مما فرض عليها مسؤولية الدفاع عن نفسها وعن الدول العربية والافريقية الراغبة بالتحرر من الاستعمار.

- الإنجازات الدولية:

1. تشكيل حركة عدم الانحياز؛ زاد من ثقل مصر السياسي والدبلوماسي على الساحة الدولية.
2. توقيع صفقة شراء الأسلحة من الكتلة الشرقية؛ اعتبرت نقطة تحول استراتيجي.
3. عقد أول مؤتمر للتضامن بين الشعوب الأفريقية والآسيوية في القاهرة عام 1958.

تمكنت مصر عبد الناصر من اللعب على التناقضات، وحالة المنافسة الدولية الجارية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في السيطرة على مجالات النفوذ للإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية من جهة، وعلى المنافسة البينية التي كانت قائمة داخل المعسكر الغربي بين بريطانيا، وفرنسا وبينهما، وبين الولايات المتحدة التي بدأت في استقطاب الدول الخاضعة لاستعمار هاتين الدولتين من جهة أخرى، مما سمح لها باستقلالية على صعيد السياسة المحلية والدولية بنسبة كبيرة، إضافة الى إرادة القيادة السياسية المصرية على عدم التموضع والخضوع لأي من المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وكما هو معروف قادت مصر في الخمسينات والستينات من القرن الماضي المواجهة مع الولايات المتحدة ووكلائها على في كامل الإقليم الممتد من إيران الى المغرب، لا سيما جبهة التحرير الجزائرية.

كان للتأييد المصري أهمية بارزة، وتأثير إيجابي على مسار الثورة الجزائرية، ونعدد أهم سبل الدعم المصري للثورة الجزائرية في التالي:

- كانت القاهرة قبل اندلاع حرب التحرير مستقر النخبة الثورية الجزائرية.
- أيدت مصر الحكومة الجزائرية المؤقتة التي شكلت سنة 1958، ولعبت دورا أساسيا في دفع أعضاء جامعة الدول العربية لتخصيص 12 مليار فرنك فرنسي للثورة الجزائرية، وبقرار من عبد الناصر نفسه، خصصت مصر المداخيل الأولى من تأميم قناة السويس للكفاح الجزائري. (بلغت هذه المداخيل ثلاث مليارات فرنك فرنسي)
- الدعم المعنوي للثورة الجزائرية؛ كان عبد الناصر بنفسه يشرف ويشارك فيما كان يطلق عليه أسابيع التضامن مع الشعب الجزائري، والتي تضمنت جمع التبرعات المادية والعينية، والدعم الإعلامي.
- الامداد بالسلاح، كانت مصر الموّرد الأول للسلاح الى جبهة التحرير الجزائرية، فكانت تشتري السلاح من المهربين الدوليين وتوصله الى الثوار، وفي حال فشل عملية من عمليات الشراء يتم تزويد الثوار بالأسلحة من مخازن الجيش المصري.
- الانتصار المصري للقضية الجزائرية في المحافل الدولية.
- التدخل للإفراج عن زعماء الثورة المختطفين من السلطات الفرنسية – أحمد بن بلة، محمد بو ضياف، محمد خيضر، آيت أحمد.
- دور مصر في مؤتمر باندونغ 1955؛ حيث دعمت مشاركة الجزائر في المؤتمر، وتحولت الثورة الجزائرية الى قضية دولية، بل أكثر من ذلك الى درجة التزام أعضاء المؤتمر بتقديم المساعدة المادية لحرب التحرير الجزائرية.
- مع تقهقر فرنسا على الصعيد العسكري، وتغير موازين القوى لصالح الثورة الجزائرية، أدركت فرنسا أن خروجها من المستنقع الجزائري يتطلب مفاوضات مع مصر، التي اشترط فيها جمال عبد الناصر على وزير الخارجية الفرنسي أن تفضي المفاوضات الى حل مشرّف يضمن للجزائريين حقوقهم الكاملة في السيادة على أرضهم، شريطة أن تكون جبهة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للجزائريين، ورفضت مصر تقسيم الجزائر، حيث اعتبرت أن الصحراء الجزائرية جزء لا يتجزأ من الوطن الجزائري.
- أخيرا، ألقى عبد الناصر خطابا في الأمم المتحدة، في دورتها ال 15، أيد فيه الثورة الجزائرية وأعلن دعمها بالسلاح، وحث المنظمة الدولية على القيام بدورها في تأييد مطلب الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

فائدة

لا يكاد يمر أسبوع، إلا وتطالب العديد من مراكز الفكر الأميركية، بخروج الجيش الأميركي من الشرق الأوسط، وتقليص عدد المنشآت والأصول العسكرية المادية والبشرية في المنطقة، إن التحرر من الاستعمار الأميركي لمنطقتنا هو واقع منجز عاجلا أم آجلا، بعدما قاتل محور المقاومة الاحتلال والتواجد الأميركي المباشر والكبير في منطقتنا على مدى عشرين عاما. نعم لقد هُزمت القوى الاستعمارية في عصرنا الحديث وعلى رأسها الولايات المتحدة، وهي مضطرة لتقليص تدخلها في تفاصيل المنطقة، وهي مضطرة لإعادة تموضعها في اتجاه حوض البحر الاحمر لمواجهة القوة الصينية التي تهدد ريادتها العالمية، بالطبع لن تخلي الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى المنطقة تماما، ولكن سوف تصبح بوضع أضعف يحد من تورطها في حروب استنزافية كبرى مرة أخرى، حتى لو دفاعا عن إسرائيل.

الفصل الرابع

معسكرات في طور التشكل

أولا، المعسكر الأميركي الاوروبي

نلفت الانتباه أولا أن الولايات المتحدة في مرحلة انكفاء استراتيجي عن التدخل العسكري المباشر في النزاعات العالمية، الدافع لذلك هو أن الوطن الأميركي يواجه العديد من التحديات التي تهدد الريادة الامريكية في العالم، من هذه التحديات؛ الانقسامات الاجتماعية والعرقية، البنية التحتية المهترئة، التضخم، المناخ والاحترار العالمي وتأثيره على سكان السواحل واحتمال حصول هجرة الى البر الداخلي، الانقسامات السياسية في الإدارة العامة والدولة العميقة والتي تسللت الى الجيش وغيره من المؤسسات والوكالات الحساسة في الدولة، الاقتصاد الذي يطوي المرحلة التقليدية الحالية في كافة المجالات النقدية والإنتاجية والبيئية وغيرها، والانتقال الى مرحلة التخلي عن العملة الورقية واعتماد أسلوب إنتاج وسلاسل توريد خضراء مستدامة تراعي التقليل من الانبعاثات الكربونية وغيرها، ويتطلب انشاء بناء اقتصادي جديد على انقاض القديم، وهي عملية معقدة لأنها لا تتعلق بالاقتصاد الأميركي المحلي إنما تتعلق ببناء نظام اقتصادي ونقدي عالمي جديد، سيحدد من يملك الريادة الاقتصادية بالتالي السياسية والعسكرية والثقافية في العالم في العقود القادمة. فيما يتعلق بالدور والنفوذ الخارجي للولايات المتحدة، تتوجه الاستراتيجية الامريكية في مواجهة المنافسين الدوليين كالصين وروسيا وإيران، عبر بناء تحالفات استراتيجية إقليمية بين مجموعة من الدول المنضوية في إطار النفوذ الأميركي لتشكيل جبهة موحدة تتحمل التكاليف والمسؤوليات الناتجة عن هذا الحلف، مقابل هذه الدول القوية والمؤثرة على الصعيد الدولي وضمن مجال النفوذ الإقليمي للمنافس، بهدف حصاره واستنزافه، فيما تبقى الولايات المتحدة في خلفية المشهد كعامل ردع يملك الكلمة الفصل في أي مواجهة متحررة من التكاليف والاعباء التي يستوجبها بناء هذه الأحلاف، كما يبدو أن الولايات المتحدة تعيد تموضعها وتمركزها في مواجهة الصين في منطقة الشرق الأوسط، وبالتحديد حوض البحر الأحمر وشرق أفريقيا. تكلفة مشاركة وبناء هائلة، لكنها تبقى أقل من تكلفة الحرب.

يمكن تفصيل هذه الاستراتيجية على النحو التالي:

- إعادة تسليم جزئي بالشراكة لملفات شرق البحر المتوسط وشمال أفريقيا الى الدولة الاستعمارية القديمة فرنسا بغطاء من الاتحاد الأوروبي، وأدوار ألمانية في الخلفية، ولكن مهمة.
- وجود عسكري أميركي ردعي في الخليج.
- تموضع عسكري أميركي وغربي استراتيجي في حوض البحر الأحمر، وبحر عمان بهدف السيطرة على طرق التجارة الدولية الأساسية للصين، ومنع روسيا والصين (تملك الصين قاعدة بحرية وحيدة في المنطقة في جيبوتي) من بناء قواعد بحرية أو جوية عسكرية في المنطقة، لا سيما في اليمن وعلى الضفة الافريقية من البحر الأحمر.
- إعادة تشكيل البيئة الأمنية الإقليمية في الشرق الأوسط، ببناء تحالفات استراتيجية بين دول المنطقة وإسرائيل بهدف تشكيل جبهة متكاملة في مواجهة محور المقاومة.
- تقاسم النفوذ الغربي مع روسيا في شرق المتوسط وشمال أفريقيا، لا سيما في الجغرافيا التي تفيد استراتيجية الغرب في احتواء محور المقاومة. يهدف السماح بالمشاركة الروسية تطويع النظام في دمشق ومنع إيران

من خلق بيئة مستدامة لمحور المقاومة في سوريا، والجائزة إدارة الملف السوري، وقاعدة عسكرية بحرية روسية في ليبيا، بالإضافة لحصة في استخراج النفط الليبي واللبناني.

- العمل ضد روسيا في مراحل لاحقة لإعادة إخراجها من المنطقة.
- السماح للصين بالدخول الى قطاع الاعمال والانشاءات في المنطقة الخليجية والاستفادة من الموارد النفطية والغازية للاستمرار في تدوير عجلتها الصناعية. ليس مستبعدا عبر تاريخ العلاقات الاقتصادية الامريكية والصينية الطويل نسبيا، نشوء شراكات اقتصادية واستثمارية عابرة للدول بين النخب السياسية والاقتصادية من الطرفين، في هذه الحال لا يعد الدخول الصيني الاستثماري الضخم في الخليج خطرا على النفوذ الأميركي في المنطقة، إلا أن الولايات المتحدة لن تسمح للصين بإنشاء قواعد عسكرية بحرية كما ذكرنا آنفا.
- يمكن للولايات المتحدة لاحقا التأثير على إمدادات النفط الخليجية الى الصين، عبر خلق بيئة سياسية في المنطقة غير مؤاتية للمصالح الصينية.

- **العوامل الدولية والإقليمية المتغيرة التي دفعت بالولايات المتحدة لاتباع نهج استراتيجي جديد**

تسبب ظهور منافس جديد – الصين – ومنافس قديم استعاد عافيته (روسيا)، مقابل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية على الساحة الدولية، اضطرار الولايات المتحدة من أجل الحفاظ على ريادتها وتفوقها العالميين، لتشكيل بيئة إقليمية معادية للصين في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، بالإضافة لإشعال الخط الممتد من بحر البلطيق شمالا الى بحر قزوين جنوبا، لاستنزاف وتقسيم روسيا الاتحادية، يتم حاليا العمل على تقسيم الأدوار والمهمات بين دول المعسكر الغربي على الساحة العالمية، فيما تعتمد الولايات المتحدة على وكلائها في غرب آسيا وشرق المتوسط، إضافة إلى مصر، لإدارة المنطقة وحفظ مصالحها، وتأمين طبقات متعددة من الحماية لإسرائيل، مدعومة بقوى دولية مثل فرنسا.

- صعود الصين الاقتصادي، يشكل الامر تهديدا استراتيجيا حقيقيا للريادة الاقتصادية والنقدية للولايات المتحدة على الساحة العالمية.
- تعافي الدولة الروسية وتضخم قوتها العسكرية.
- صعود إيران ولاية الفقيه، وتوسع نفوذها في المنطقة.
- صعود قوى مقاومة ملتزمة وقوية، ضمن جبهة موحدة الأهداف والرؤى.
- صعود أنصار الله في اليمن، وانضمامهم كأصحاب دولة في اليمن لمحور المقاومة.

- **العوامل المساعدة في التحرك الاستراتيجي الاميركي الجديد**

عملت الولايات المتحدة على تكوين بيئة إقليمية تسمح لها بالتحرر من التزاماتها تجاه وكلائها، فيما كان لمحور المقاومة واستنزافه لموارد الولايات المتحدة دور كبير في هذه النظرة الاستراتيجية الجديدة، إضافة الى عوامل التقدم التكنولوجي الذي وظف الذكاء الصناعي في إدارة الكثير من المهمات العسكرية في المنطقة، الامر الذي ساعد في اتخاذ قرار توفير الموارد المالية وتقليص حجم الأصول العسكرية الامريكية، وساعدها في تطبيق استراتيجيتها، وأبرز هذه العوامل هي:

- اجبار الوكلاء على حل خلافاتهم البينية، كما حدث في المصالحة الخليجية الأخيرة بين قطر والسعودية والامارات، وكذلك بين تركيا ومصر وغيرها، وما زال هذا المسار يتقدم بين كل وكلاء الولايات المتحدة في المنطقة.
- التحالفات الجديد القائمة والتي ساعدت واشنطن في تكوينها وهندستها؛ حلف مسار ابراهام، حلف الشام الجديد، حلف شرق المتوسط.
- تقسيم النفوذ على المستوى الدولي، باضطلاع الاتحاد الأوروبي ممثلا بفرنسا بمساحة أكبر في التحرك على مستوى المنطقة، والمشاركة الواسعة في ادارة ملفاتها السياسية والاقتصادية وغيرها، فيما ينتقل الثقل الأميركي البريطاني الى محيط الصين، ويتشارك الثلاثة النفوذ على ضفتي حوض البحر الأحمر.
- الاستنزاف الدائم للولايات المتحدة في المنطقة من قبل محور المقاومة.
- تقلص اعتماد الولايات المتحدة على نفط المنطقة على المدى المتوسط.
- توجه القطاع الصناعي في الولايات المتحدة وأوروبا الى استغلال الموارد المستدامة وتقليل انبعاثات الكربون، وتواجد ثروات باطنية هائلة في أفريقيا تؤمن هذه الانعطافة.
- استخدام الذكاء الصناعي على نطاق واسع في إدارة المنطقة العسكرية المركزية، مما سمح بإعادة نشر القوات الامريكية في الإقليم مما يحقق الأهداف بكفاءة أعلى وكلفة أقل.
- دور إسرائيل المساعد كذراع عسكرية وأمنية استراتيجية للغرب.

- **الاهداف المستقبلية**

يلقي هذا المبحث الضوء على السيناريوهات المستقبلية لكل دول الإقليم التي تشملها الاستراتيجية الامريكية الجديدة، بناء على الملاحظة والتدقيق في الحركة التكتيكية للولايات المتحدة في مقابل كل دولة على حده.

- لبنان

- حزب الله عقبة كبرى لأي مخطط تقسيمي وعودة للاستعمار في المنطقة عموما ولبنان خصوصا، لذلك التقسيم يهدف لعزله وبيئته الاجتماعية عن سياسة واقتصاد البلاد، وضربه عسكريا بعد ذلك، وهو شرط أساسي لأمن الكيان الصهيوني الجيوسياسي.
- العمل ببطء على صناعة أحزاب وقوى سياسية جديدة غير طائفية تكون نواتها المنظمات المدنية الغير حكومية المدعومة من الخارج، تتحول في المستقبل الى أحزاب غير طائفية توازن وتنافس الأحزاب التقليدية اللبنانية بما فيها حزب الله.
- مشروع الشام الجديد، قد يحمل في طياته مشروع حرب إسرائيلية أهم أهدافها إفراغ جنوب لبنان من الديمغرافيا الشيعية، وتهجيرهم قسريا الى سوريا والعراق.
- مشروع الشام الجديد يهدف لإدخال لبنان ضمن منظومة إقليمية أمنية وسياسية تسيطر عليها إسرائيل.

- سوريا

- إخراج سوريا من منظومة محور المقاومة، بتعاون روسي أميركي، مدعوما بأموال خليجية لإعادة الاعمار، مع ربطها بشبكات اقتصادية ونقدية وفق منظومة الامن الإقليمي الجديدة في المنطقة.
- الانتهاء من حكم آل الأسد.

- تمكين النفوذ السوري في لبنان.

○ العراق

- اضعاف القوى السياسية الشيعية المقاومة ضمن الهيكل السياسي والإداري للدولة.
- تفكيك الحشد الشعبي، وفصل فصائل المقاومة عن الهيكل العسكري الرسمي للدولة.
- ربط العراق بنظام إقليمي جديد تحت مسمى مشروع الشام الجديد يعمل على فصل إيران عن بلاد الشام، سوريا ولبنان.

○ إيران

- تواجد الاساطيل الغربية بكثافة هدفه الردع ومنع إيران من التدخل في حال شنت الجبهة الإسرائيلية العربية حربا على لبنان وسوريا، وفرض حصار بحري على إيران في حال نشوب نزاع إقليمي.
- خلق مشكلات واضطرابات في الأهواز لفصل الجغرافيا الإيرانية عن جغرافيا جنوب العراق والأماكن المقدسة في النجف وكربلاء.
- إفقاد إيران لحلفائها في المنطقة بعد اسقاط النظام في سوريا ومحاصرة واستنزاف حزب الله في لبنان (قد يشمل شن حرب إسرائيلية شاملة عليه)، وتقسيم العراق ربطا بتفكيك الحشد الشعبي، ليتم بعد ذلك التركيز على الداخل الإيراني.
- تهديد وحدة المجتمع والدولة الإيرانية بالدعوات القومية والمذهبية، تمهيدا لتقسيم البلاد.

○ اليمن

- اليمن محاصر جوا وبرا وبحرا.
- اليمن يمنيْن، يمن جنوبي مشابه لنموذج كوريا الجنوبية مستقر، ويتميز بحركة تجارية واقتصادية نشطة، وموارد نفطية وغازية كبيرة.
- يمن شمالي، مشابه لنموذج كوريا الشمالي، ولكن بدون سلاح نووي، وبدون حدود جغرافية مع دول حليفة، منعزل محاصر، مينائه الوحيد على البحر الأحمر مراقب بشدة ومسيطر عليه دوليا، يتحمل عبء اطعام 80% من عدد سكان اليمن، مما يجعله لقمة سائغة للثورات الملونة، وبالتالي الانهيار.

○ دول الخليج العربية

- مع انحدار أهمية الوقود الأحفوري في المستقبل، ستقل أهمية هذه الدول إلا فيما يتعلق بموقعها الجغرافي.
- سوف تعتمد في أمن وبقاء أنظمتها على الكيان الصهيوني وأذرعه الاستخبارية والعسكرية.
- سوف تعتمد في تأمين الغذاء لشعوبها على التكنولوجيا الإسرائيلية.
- سوف تصبح عمقا حيويا واستراتيجيا لإسرائيل.
- قد يتم العمل على فصل الحجاز عن السعودية، وإعطائها للهاشميين الحاكمين في الأردن.

○ مصر

- اضعاف السلطة المركزية هدف رئيسي للغرب والولايات المتحدة، على المدى البعيد.
- ضرب الامن المائي والغذائي للدولة المصرية.
- تعظيم قوة منظمات المجتمع المدني غير الحكومية.

- العمل على دفع مصر المترددة – التي تهتم بتوسيع مجالات نفوذها في عمقها الحيوي الافريقي – للانخراط في شؤون غرب آسيا من خلال مشروع الشام الجديد.

ثانيا، المعسكر الصيني الروسي

نعمل في هذا الفصل على توضيح الغموض الحاصل في الرؤية اتجاه مكانة منطقة غرب آسيا في الاستراتيجية الروسية والصينية العالمية، وحدود القدرة على تطويرها، وإمكانية استغلال الصراع القائم، والذي من المرشح أن يزداد سخونة عاما بعد آخر بين الصين وروسيا من جهة، والولايات المتحدة وحلفائها الغربيين من جهة أخرى، في صناعة الأمة القطب.

- **النفوذ الروسي:**
  - مدخل / فائدة:

- روسيا قوة عظمى من الناحية العسكرية، تواجه نقصا في الوسائل الثقافية والاقتصادية اللازمة لتكون قوة امبريالية.
- نظامها النقدي مرتبط بسعر صرف الدولار الأميركي، ولا تملك الاستقلالية النقدية التي تحميها من التلاعب بسعر صرف عملتها.
- أولوياتها الاستراتيجية تكمن في آسيا وأوروبا، والشرق الأوسط يأتي في درجة ثانوية في التخطيط الاستراتيجي الروسي.

  - أهداف روسيا من منظور تنافس القوى العظمى:

- إجبار الولايات المتحدة على الاعتراف بشرعية أهدافها ومكانتها كقوة عالمية عظمى متساوية.
- خلق تحدٍ في الجناح الجنوبي لحلف الناتو شرق المتوسط وشمال أفريقيا.
- تعزيز شراكة العمل مع إيران وتحسين العلاقات مع تركيا لتحييدها عن الصراع الروسي الغربي.
- التنسيق مع دول الخليج الفارسي في سوق النفط، وفي ترتيب ملفات المنطقة، وعلى رأسها الملف السوري.

  - الاستراتيجية الروسية في المنطقة:

في المفهوم، الاستراتيجية الروسية هي حوار مع السياق المحلي والمستقبل المباشر، من هذا المنطلق يمكن وصفها باستراتيجية الطرق والوسائل، التي تأخذ المبادئ العامة فيها مكان الغايات المقررة، ممكنة في الفعل في المدى الأقصر ومتخفِفة من محدودية الامكانات الروسية على المدى الأبعد. تعتمد هذه الاستراتيجية على وفرة الموارد والفرص السانحة، فعندما تكون هذه الموارد والفرص وفيرة فإن هذه الاستراتيجية تتسارع، وعندما تكون الموارد والفرص اللازمة للدفع بمصالح روسيا نادرة تعمد الى تقليل الانخراط، وتتبدى معالم هذه الاستراتيجية، في التالي:

- التمسك بالمفهوم الوستفالي للدولة (معاهدة وستفاليا)، وعدم السعي لتغيير الأنظمة القائمة في المنطقة.
- تصدير التكنولوجيا النووية لإيران ومصر والأردن، ومحاولة تسويقها لدى دول الخليج.

- مبيعات الأسلحة الروسية في المنطقة: حيث وصلت نسبتها الى 50% من مبيعاتها على المستوى العالمي، بعد تدخلها في سوريا.
- الاستثمار في القطاعين النفطي والغازي في شرق المتوسط وشمال أفريقيا.
- إيجاد موطئ قدم في شمال أفريقيا يسمح لها بالتوغل الى عمق القارة، وتعزيز نفوذها واستثماراتها في الثروات الطبيعية.

○ حدود الاستراتيجية الروسية:

- **القوة الناعمة،** عدم امتلاك روسيا لقوة ناعمة في المنطقة، حيث تركز مبادراتها الثقافية والإعلامية في المقام الأول على أوروبا والولايات المتحدة بشكل أكثر فاعلية. يتطلب تعزيز القوة الناعمة الروسية في الشرق الأوسط، جعل المنطقة بمثابة أولوية، ما يترتب عليه تحويل وتركيز الموارد الروسية النادرة أصلا الى تلك المنطقة، ولا يبدو هذا واردا، فمخاطر تقسيم وإضعاف روسيا لا تأتي بشكل رئيسي من دول الشرق الأوسط.
- **التوازن،** إن براغماتية العلاقات، او العلاقات غير الأيديولوجية مع دول المنطقة المتنافسة، كالتنافس القائم بين محوري إيران والمملكة العربية السعودية، فزيادة التمترس بين بين هذين المحورين قد يُطالب روسيا في النهاية بالانحياز الى أحد أطرافه، مثال على ذلك إبان الازمة القطرية مع السعودية والامارات؛ فالبرغم من أن حياد روسيا قد أفادها على المدى القصير، إلا أن هذا الحياد قلص من فرص تعميق العلاقات مع كل دول مجلس التعاون الخليجي.
- **ترك التوريث،** على الرغم من أن روسيا بإمكانها عرقلة سياسات الولايات المتحدة في المنطقة، ولكن لا يمكنها إنشاء ثغرات أو أن تحل محل الولايات المتحدة باعتبارها القوة المهيمنة في الشرق الأوسط.

○ النتيجة:

إن الاعتقاد أن الاعتماد على غطاء روسي لأي نظام في المنطقة مقابل الولايات المتحدة، هو خطأ كبير وغير مضمون النتائج، والسبب يكمن في ان هذه المنطقة ذات مكانة ثانوية بالنسبة للاستراتيجية الروسية، التي تركز على آسيا وأوروبا، فهي إن قدمت لطرف ما في المنطقة المساعدة واستقرت لها الأمور، فستعمد حينئذ الى عرضه للمقايضة في سوق المصالح مع الغرب، مقابل مكاسب في نطاقات ذات أولوية استراتيجية بالنسبة للأمن القومي الروسي.

تبني روسيا علاقات على مستوى الانظمة في المقام الأول، ولا تملك أيديولوجيا يمكنها تسويق قيَمَها بين شعوب المنطقة، على عكس الايديولوجيا الرأسمالية الغربية، التي يعيش أغلب شعوب المنطقة وفق قيمها الليبرالية، وقد أثبت الشرق الأوسط لا سيما في العقد الماضي أنه معرض بقوة لعواصف التغيير، كون الأنظمة الحاكمة في دوله لا تتمتع بشرعية شعبية، لذا من الراجح احتمال أن تتعرض المصالح الروسية للخطر في حال تبدل الأنظمة لسياسية في الشرق الأوسط، فما بالنا بتغير الجغرافيا السياسية للمنطقة في العقود المقبلة.

- **النفوذ الصيني**

○ الأهداف الصينية في المنطقة:

- الحفاظ على إمدادات الطاقة من دول المنطقة دون الدخول في الصراعات البينية المندلعة.

- مع أن مصالح الصين في الغالب اقتصادية، إلا أنها انتقلت مؤخرا الى دمج الاهتمامات الاستراتيجية، فأصبحت مبادرة الحزام والطريق أحد العناصر التي تعمل على توسيع النفوذ الصيني بشكل ملحوظ في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

- تشغل الصين رويدا رويدا مكانة بارزة من الزاوية العسكرية – مبيعات أسلحة، قاعدة بحرية – وتكنولوجية لوجودها في الشرق الأوسط.

- لا تتدخل الصين في المنافسة الإقليمية بين شركائها التجاريين في الشرق الأوسط، لا سيما بين إيران والسعودية، وتحافظ على روابط جيدة مع الطرفين.

- لا تسعى الصين لتحدي الهيمنة البحرية العسكرية للولايات المتحدة بشكل واضح في المنطقة حتى الآن، ولا تملك الوسائل لذلك. لا يعني ذلك انها لا تملك الطموح لبناء أو استئجار قواعد عسكرية بحرية في الخليج، وفي باب المندب والبحر الأحمر، وتدل استثماراتها في تطوير موانئ المنطقة وربطها بالمدن الصناعية وآبار النفط، أنه قد يعطيها فرصة في المستقبل للتواجد العسكري في المنطقة.

- التحديات والفرص:

- الاقتصاد المتنامي للصين في الشرق الأوسط يجلب معه مسؤوليات أمنية متزايدة، حيث يعيش ويعمل أكثر من 550 ألف صيني في المنطقة، ولكن نظرا لأداء الصين الحالي فإن الاهتمام الأمني لن يتزايد في المدى القريب، والسبب الثاني أن القواعد العسكرية الغربية البحرية على وجه الخصوص، بالإضافة للبرية والجوية، لا تترك الكثير من الثغرات للصين وغيرها لاستغلالها.

- ملف حماية الممرات المائية التي تمر من خلالها الشحنات الصينية الى الأسواق العالمية، وشحنات النفط من المنطقة الى الصين، تدفعها للاهتمام بعقود تطوير الموانئ البحرية في كل من باكستان وإيران ومصر وغيرها، والتي قد تتضمن بنودا غير معلنة عن استخدام البحرية الصينية لهذه الموانئ في عمليات الرسو والصيانة والتموين وغيرها، ولكن التعاون الأنجع بالنسبة للصين هو عبر الطريق البحرية المحاذية لمشروع الحزام والطريق في البر الآسيوي، والخاص بإمدادات الطاقة من حقول النفط في الخليج الفارسي لا سيما بمحاذاة الساحلين الإيراني والباكستاني، المطلان على المحيط الهندي، حيث تطور الصين عددا من موانئ البلدين، ثم تنتقل برا عبر باكستان الى الصين، مما يقوّض مستقبلا الخطط الامريكية للتحكم بإمدادات النفط الى الصين.

- تدل المبادرة الأخيرة التي أقرها الحزب الشيوعي الحاكم في الصين في مارس / آذار 2021، على الاهتمام المتزايد للصين بأمن الممرات وطرق الشحن البحرية، إذ تنص هذه المبادرة على رصد موازنات ضخمة لإعادة تطوير وتحديث الجيش، وتطوير الاسطول البحري الصيني خلال العقد الحالي ليكون قادرا على حماية البلاد ومصالحها خارج الحدود الصينية.

- لن تبدأ فعالية هذه الإجراءات والاهتمام المتزايد للصين بأمن طرق الشحن الدولية بالظهور إلا ابتداء من العقد المقبل.

- **الاستراتيجيا الصينية – الروسية المشتركة في غرب آسيا وشمال أفريقيا**
  - **الاستراتيجية الروسية – الصينية دوليا:**

تنطلق الدولتان من تقييمهما لنوع التحديات الدولية المستقبلية، ومستوى الخطر الذي تمثله المخططات الغربية على مكانتهما الدولية، لذا جرى تأطير التوافق بين القيادتين بمعاهدة الصداقة والتعاون، التي حددت اهداف وآليات تحقيقها، وجاءت التكتلات والأحلاف الإضافية لمجموعة دول شنغهاي، ومجموعة دول البريكس لترسيخ الارتباط الاستراتيجي بين روسيا والصين، ويمكن تلخيص الأهداف المشتركة، في النقاط التالية:

- الإفلات من سيطرة الدولار الأميركي ودوره كعملة عالمية في التجارة الدولية.
- خلق توازن في الاقتصاد العالمي متحرر من تجاذبات البورصات الدولية، والمضاربة على المقومات الأساسية لاقتصاد بعض الدول من مواد أولية وخدمات مختلفة.
- خلق مؤسسات رديفة للبنك وصندوق النقد الدوليين، تعنى بالتنمية المستدامة في دول العالم الثالث، وتحمي مصالح الدول الصاعدة ونموها، عبر استقرار سعر الصرف بين عملاتها.
- حماية قيمة الأصول المحلية من المخاطر الخارجية، التي يتسبب بها النظام العالمي الخاضع للولايات المتحدة.
- مواجهة مخاطر الإرهاب والتطرف الديني، والعرقي.
- إصلاح بنية مجلس الامن الدولي، وإعطاءه حصرية معالجة النزاعات المسلحة في العالم، ورفض تفرد الاحلاف العسكرية بالتصرف من خارج قراراته وآلياته المعتمدة.
- التوافق على معارضة سياسة القطب الأوحد الأمريكية والتدخل في "المصالح الأساسية" داخل الدولتين أو بالقرب من حدودهما.
- دعم نظرية الحكم السلطوي في علاقة المجتمع بالدولة حول العالم، ومقاومة تصدير الغرب لـ "القيم الليبرالية العالمية"، بالتزامن مع تنامي ريبة بيجين وموسكو تجاه "الثورات الملونة" واعتقادهما أنها تتم بدفع غربي.
- شعور قومي متصاعد قائم على ارث شيوعي وحضارة قديمة وإحساس شعبي عام بأن بلديهما يستحقان مكانة أفضل على الصعيد العالمي

  - الاستراتيجية الروسية – الصينية في المنطقة:

- تشترك الصين وروسيا في مصلحة كسر الهيمنة البحرية الامريكية في الخليج، عبر مقاومة العقوبات ضد إيران.
- تشترك كل من بكين وموسكو في هدف مشترك يتمثل في الإطاحة بالولايات المتحدة كزعيم عالمي، ومن الخطوات الضرورية في هذا الاتجاه؛ إنشاء معاقل دبلوماسية واقتصادية وعسكرية في الشرق الأوسط.
- بينما تريد الدولتان إظهار مكانتهما كقوة عظمى في الشرق الأوسط، لا يبدو أنهما حريصتان على إزاحة الولايات المتحدة من المنطقة تماما، فالشرق الأوسط مكان معقد جدا، ولا يملك الاثنان القدرة والموارد اللازمة، ولا الإرث التاريخي الذي للولايات المتحدة في التعامل مع دول وحكومات ومجتمعات المنطقة.

- لا توجد استراتيجية مشتركة أو موحدة بين الصين وروسيا في الشرق الأوسط، ولكن تشير المؤشرات أن هناك إمكانية تقاطع وتقاسم للمصالح والادوار في المنطقة، في حال شاءت القيادتين السياسيتين في البلدين ذلك، كما هناك مؤشرات على تقارب على المستوى التكتيكي قصير المدى بينهما في المنطقة.

فائدة

تتبدى الاستدامة في النفوذ الغربي والشرقي، حول العالم بشكل عام وفي الشرق الأوسط بشكل خاص، في منظومة القيم، ففي الوقت الذي أضحت فيه القيم الليبرالية قيما عالمية، بقيت منظومة القيم الشرقية - لا سيما بعد زوال المنظومة الاشتراكية المستندة الى الأيديولوجيا الشيوعية – قيما محلية في روسيا والصين، رغم ما جرى من تطوير عليها في الالفية الثانية، وبما أن القيم الغربية هي السائدة في مجتمعات منطقتنا، فإن أي تغيّر يجري على صعيد النظم السياسية، أو السياسات العامة في هذه الكيانات الحاكمة، قد تؤدي لخسارة فادحة في المصالح الروسية والصينية، على عكس الغرب الذي تمكن خلال الحقبة الاستعمارية من بناء طبقة من العائلات والافراد سائدة في مجتمعاتها، مسيطرة على سلاسل التوريد، مالكة لوسائل الاعلام والثقافة، مهيمنة على الجهاز البيروقراطي للدولة الحاضنة، وتعمل على حفظ نفوذه ومصالحه، وهذه الطبقة نفسها تؤمن له العودة دوما لإدارة أو لتشكيل النظام السياسي في حالة الازمات والتحولات الكبرى، إن لم تكن هي نفسها من صنعتها لإزاحة المنافسين، أو لأهداف أخرى.

الفصل الخامس

الدروس المستفادة وآفاق المستقبل

مدخل

نلقي في هذا الفصل نظرة على أوجه الشبه المشتركة بين الثلاث مراحل التاريخية التي عرض جوانبها وتحليلها في هذا البحث. نعرض في جدولٍ العوامل المشتركة بينها، ثم نستعرض التحديات والتطورات المستقبلية المحتملة عالميا وإقليميا، من أجل تقديم بناء متين لتوصيات فعّالة في نهاية دراستنا.

أولا، كيف استفادت القوى التحررية في المنطقة من الصراعات الدولية، مستغلة التحولات الجذرية في الواقع الدولي؟

- العوامل التي استفادت منها ما تسمى بالقوى التحررية بين عامي 1900 – 1921:
  - صراع عالمي بين القوى الكبرى، مكنتهم من تنظيم أنفسهم وطرح مشاريعهم.
  - الاستفادة من خلق بريطانيا لقاعدة قوية متمثلة بحركة حاكم مكة الشريف حسين، وثقل المدينة الديني في الوعي الإسلامي العام، شكل ذلك عامل جذب قوي لمناصرة حركته من قبل شعوب الأقاليم العربية.
  - الاختراق الثقافي المتمثل بالدعوة للقومية العربية.
  - الاستفادة من ضعف الدولة العثمانية، وانشغالها في معارك الحرب العالمية الأولى.
  - الاستفادة من تدهور البنية التحتية، أو عدم تواجدها أساسا، وانعدام التنمية المستدامة، وانعدام الخدمات، بالإضافة لانعدام الوعي والتعليم، في تأليب شعوب المنطقة على الدولة العثمانية.

- العوامل التي استفادت منها الحركات الاستقلالية في المشرق بين عامي 1939 – 1967:
  - صعود الحركات القومية في أوروبا الى سدة الحكم في ألمانيا وإسبانيا وإيطاليا.
  - ضعف الدول الاستعمارية القديمة كنتيجة للحرب العالمية الثانية.
  - الوعي الجماهيري بضرورة التحرر من الاستعمار.
  - عاملان متغيران، يتمثلان في صعود الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي الى مصاف القوى الكبرى.
  - الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي، والاستقطاب الجاري بينهما على المستوى الدولي، سمح لقوى التحرر الوطنية بالتخلص من الاستعمار المباشر لفرنسا وبريطانيا، وغيرها من الدول الأوروبية.
  - دعم بعض الدول المتحررة من الاستعمار للكفاح المسلح في غيرها من البلدان.
- قوى المقاومة والاستفادة من الصراعات والتحولات في النظام الدولي بين عامي 2000 – 2021:
  - الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000، بدون توقيع اتفاقية مع الدولة اللبنانية، أو أية ضمانات أمنية.
  - الخسارة العسكرية التي تلقتها الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما في العراق.

- هزيمة إسرائيل في حرب تموز 2006.
- اندلاع ثورات الربيع العربي المدعومة من الولايات المتحدة والغرب.
- تعثر التمرد المدعوم غربيا وعربيا في سوريا بعد تدخل إيران وحليفها حزب الله في المعركة، وموازنتهم لكفة النظام في الحرب.
- استعادة روسيا لعافيتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.
- التدخل الروسي في الحرب السورية.
- الصعود الكبير للاقتصاد الصيني، وبداية تشكل ملامح صراع أميركي – صيني.
- جائحة كورونا التي عطلت دورة الاقتصاد العالمي.
- الضعف الاقتصادي للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي.
- الانقسام السياسي والاجتماعي في الولايات المتحدة.
- انبثاق حركة أنصار الله اليمنية بقوة، وامتلاكها لدولة لها مستقبل واعد ومؤثر في شبه الجزيرة العربية.
- حرب التحالف العربي ضد اليمن، وفشله في حسم المعركة، وانشغاله عن دعم المتمردين السوريين.
- نشوء معسكرين متنافسين في المنطقة؛ معسكر الاخوان المسلمين - تركيا وقطر، ومعسكر العلمانيين – مصر والمملكة العربية السعودية والامارات.
- توسيع الروابط والتنسيق بين عناصر قوى المقاومة في المنطقة.

- **جدول العوامل المشتركة (في المنطقة)**

	1921 - 1900	1967 - 1939	2021 -2000
1.	صراع بين القوى الكبرى الأوروبية بعد صعود ألمانيا وتوحدها، للسيطرة على أراض ومستعمرات جديدة والاستفادة من مواردها، لا سيما في الشرق الأدنى، وأفريقيا شمال الصحراء الكبرى وجنوبها.	صراع أيديولوجي بين الدول الأوروبية والاتحاد السوفياتي، دعمت فيه القوى الأوروبية الكبرى فرنسا وبريطانيا، بالتعاون مع مراكز القوى المالية والصناعية في الولايات المتحدة عملية انبعاث القوة الألمانية للوقوف في وجه الخطر الشيوعي الستاليني.	صراع جيو اقتصادي بين القوى الكبرى الغربية، والقوى الكبرى الشرقية على وجه الخصوص بعد صعود الصين واستعادة روسيا لعافيتها، للاستحواذ على أقاليم وبلدان في العالم الثالث، لا سيما العربية منها، بهدف الاستفادة من موقعها الجيوسياسي، ومواردها الطبيعية، لا سيما في الشرق الأوسط عموما، وشمال أفريقيا، وجنوب الصحراء الكبرى.
2.	استعمار مباشر لمصر.	غزو ألماني لشمال أفريقيا وصولا الى مصر.	احتلال مباشر للعراق.
3.	حاجة روسيا للوصول للمياه الدافئة.	رغبة روسية في نشر أيديولوجيتها أوروبيا، وبعد الحرب العالمية الثانية دوليا.	حاجة روسيا للوصول والتوسع والتمركز في المياه الدافئة.

4.	ضعف الإمبراطورية العثمانية.	صعود الدولة الوطنية في الشرق الأوسط.	ضعف الدولة الوطنية في العالم العربي.
5.	أزمة مالية عالمية عام 1912.	تحول الدولار الى عملة عالمية، وهيمنته على المعاملات الدولية.	أزمة مالية عالمية عام 2008م.
6.	تأطير النخب الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، بالإضافة للثقافية ضمن شكل بدائي من منظمات المجتمع المدني غير الحكومية مرتبطة بالقنصليات ودوائر الاستخبارات الغربية.	هيمنة الدولة الوطنية على المؤسسات الدينية والأحزاب والقوى الاجتماعية.	خلق أعداد لا تحصى من منظمات المجتمع المدني المتخصصة والمرتبطة بمنظمات دولية وصناديق تمويل أممية وإقليمية ودولية ومحلية، إضافة الى تأطير النخب الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، بالإضافة للثقافية ضمن دعوة ما يسمى" بالإبراهيمية"، وربطهم بالسفارات والقنصليات ودوائر الاستخبارات الغربية.
7.	دعوات قومية أرمنية وعربية، يغلب على قادتها الانتماء المسيحي.	صعود الدعوة القومية في العالم العربي.	دعوات قومية كردية، آذرية، أمازيغية، بالإضافة للدعوات المذهبية (سلفيين وأخوان مسلمين).
8.	احتضان أغلب القوميين العرب والأتراك من قبل الغرب.	وصول الأحزاب القومية بمختلف عقائدها الى سدة الحكم في الدول العربية.	احتضان أصحاب الدعوات العرقية والمذهبية المتطرفة من قبل الغرب.
9.	القوى الناعمة الغربية، التي زرعت الأفكار القومية والاستقلال عن الدولة العثمانية والتطور الحضاري.	هيمنة الدولة الوطنية على الأفكار والتوجهات في مجتمعاتها.	القوة الناعمة الغربية، التي تعمل على خلق منظومة قيم جديدة تدعو للقبول بالعدو الصهيوني، وجعله جزءا من نسيج المنطقة الاجتماعي.
10.	التمهيد لإنشاء دولة الكيان الصهيوني.	نشوء دولة إسرائيل.	تأمين البيئة الإقليمية لحماية الكيان الصهيوني.

ثانيا، الدروس المستفادة من البحث، وآفاق المستقبل

- **الدروس المستفادة**
  - في حماية المجتمعات

تسعى الدول الخارجية الى البحث عن الثغرات داخل الانساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية بهدف اختراقها، واستخدامها في خلق موجة تكون قد حرّكت تياراتها الخامدة، في الوقت المناسب وبما يخدم استراتيجيتها اتجاه دولة أو إقليم ما، لذا نقدم بعض من الدروس المستفادة في هذا السياق، وفق التالي:

- وضع دراسة لاتجاهات الطبقات والفئات العمرية داخل المجتمع، لا سيما فئة المراهقين.
- تحديد المؤثرات الخارجية التي تستهدف المجتمع، داخل كل طبقة وفئة عمرية على حده، ودراسة تأثيرها في المزاج العام.
- إعادة تقييم أساليب الحكم السائدة، التي عادة ما تكون فلسفتها قد أضحت قديمة.
- اعتماد مبادئ الحوكمة العادلة، ومعالجة المظالم، واتباع روح القانون وليس الالتزام ببنوده الجافة والجامدة.
- التغيير والتبديل المستمرين في المواقع والمراكز الإدارية لبيروقراطيي الدولة، منعا لتشكل مراكز قوى فاسدة، وجمود على صعيد الأداء.
- تطوير البنى التحتية الاقتصادية والتكنولوجية، والخدماتية، وعلى رأسها العلمية، بما يتناسب مع حاجات المستقبل، دون الاسراف الذي يؤدى الى الهدر والافلاس، أو دون نسخ نماذج خارجية جاهزة، لا توافق الإمكانات والموارد والحاجات.

○ في اقتصاد الحرب، ومبدأ النفس الطويل

- تعيين العدو، والأحلاف الدولية والإقليمية المنخرط بها.
- دراسة حركة العدو، وتحليلها لكشف أهدافه.
- الاعداد الاقتصادي طويل الأمد استعدادا للحرب المقبلة.
- إشراك القطاع الخاص والحكومي في الاعداد لاقتصاد الحرب، والإنتاج الحربي.
- جعل كل إقليم في الدولة مركز إنتاج اقتصادي متكامل منفصل - لا سيما في حالة التحالف بين عدة دول أو أطراف – زراعيا وصناعيا وتكنولوجيا وحتى نفطيا إن أمكن، ووضع خطة احتياطية للدعم المشترك بينهم. يفيد ذلك بعزل الأطراف أو الأقاليم المتضررة عن باقي المراكز الأخرى.
- تأمين عوامل الاستقرار لقطاعات الأمن الغذائي، والطاقة، والاتصالات، كدعائم للاستقرار الاجتماعي، من خلال تعزيز وضع العاملين فيها، ما يحد من نشوء السوق السوداء.
- إقامة شراكات اقتصادية خارجية واسعة، لتقليل آثار الحصار، أو انقطاع أحد سلاسل التوريد.
- إنشاء جهاز خاص لمراقبة عناصر الطابور الخامس المحتملين في أجهزة الدولة، والأحزاب والتيارات السياسية المختلفة، وعناصر منظمات المجتمع المدني الغير حكومية، ومصادر تمويلها.
- الاعتماد على عنصر الذهب كاحتياطي نقدي للحالات الطارئة، ومنها الحرب، إذ من المحتمل أن تنهار قيمة الأوراق النقدية أثناء الحروب ما لم تكن مدعومة بالذهب.
- ينفع الاعتماد على تخزين الذهب، وإدخال الثروات الباطنية مثل النفط، لا سيما المخزونات المستقبلية، والتي تعد حاجة عالمية، في تحديد سعر صرف العملة عالميا، في حماية القطاع النقدي المحلي، ويحرره من التبعية للخارج، كما يعزله نسبيا عن المؤثرات الخارجية.

○ استراتيجية المواجهة الحديثة

- بعد الحرب العالمية الثانية مالت الدول الكبرى الى عدم الصدام المباشر بينها.
- تعمل الدول الكبرى على إنشاء عوازل قومية، ودينية، وحتى مذهبية بينها وبين خصومها الدوليين.
- تعمل الدول الكبرى على دعم اقتصاد الدولة العازلة، وربط مركز القرار فيها بمنظومتها السياسية.
- في السابق، دعمت فرنسا وبريطانيا، ومراكز القوى في الولايات المتحدة الامريكية الصناعة العسكرية الألمانية، بهدف دفع صانع القرار الألماني -هتلر- لمهاجمة الاتحاد السوفياتي.

- بعد أن تلقى الغرب درسا قاسيا من ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، تعمل الدول الغربية اليوم على تعزيز مصادر قوة الدول العازلة، ولكن تغير الهدف الى استنزاف القوى الدولية المنافسة وليس مهاجمتها عسكريا، مثال؛ أوكرانيا وبولندا في مواجهة روسيا.
- في المقابل تعمل روسيا والصين اليوم على تعبئة الفراغات في الأقاليم التي تشهد تراجعا غربيا، وتثبيت قاعدة تتخذ رأس جسر للقفز الى دول أخرى، وتدعم نسبيا القوى الإقليمية المتوسطة بهدف إشغال واستنزاف المنافسين.

- **الآفاق المستقبلية المحتملة**
  - جنوب شرق آسيا

في عصر القنابل النووية التي تمتلك منها ثلاث دول متنافسة في منطقة جنوب شرق آسيا، من غير المتوقع أن تدفع الولايات المتحدة بالأحداث الى الصدام العسكري الإقليمي مع الصين، ولكن في المقابل، بالتوازي مع التنافس الاقتصادي والنقدي والسياسي وغيرها، قد يكون الخيار هو الصدام الحضاري بين الديموغرافية الدينية لشعوبها. تعد منطقة جنوب شرق آسيا مضافا إليها الهند، من أكثر الأقاليم في التنوع الديني، حيث للبوذية والهندوسية والإسلام ثقل كبير في المنطقة، إضافة الى المسيحية والعشرات من الأديان المحلية المختلفة، في ظل عدد سكان يقارب الاربعة مليارات نسمة، قد يكون إشعال الحروب بين البوذيين والهندوس والمسلمين استثمار جيد للولايات المتحدة لتوريط دول المنطقة في دعم المليشيات الطائفية المتقاتلة واستنزاف اقتصاداتها.

  - أوراسيا

تسعى الدول الأوروبية بدعم من الولايات المتحدة الى بناء خط دفاع متقدم من الدول المعادية لروسيا في شرق أوروبا، من خلال استرجاع التاريخ وتعزيز الشعور القومي العنصري، إلا أن أوروبا تعمل ببطء وحذر شديدين، لا سيما مقابل الخطوط الحمراء التي ترى موسكو أنه لا يمكن التسامح مع تجاوزها، ورغم انضواء الأمر على مغامرة خطرة، فقد يعمل الغرب على توريط روسيا في حرب استنزاف كبيرة في أوكرانيا، من المحتمل توسعها لاحقا شمالا الى بولندا العدو اللدود لموسكو تاريخيا. إلا أن الغرب يحاول أيضا فتح مسار إشكالي في دول آسيا الإسلامية الوسطى، وتشتيت التركيز عبر خلق بؤر جديدة من الاضطرابات عند الحدود الجنوبية لروسيا الاتحادية، وتنشط تركيا في هذا الاتجاه بالتحديد.

  - الشرق الاوسط

تسعى دول الشرق الأوسط الدائرة في فلك النفوذ الأميركي، لا سيما بعد انكفاء واشنطن عن التورط المباشر في شؤون دول المنطقة، الى الاستحواذ على مجال نفوذها الإقليمي التقليدي، والتوسع السياسي والاقتصادي في المجال الحيوي الخاص بها، مثل مصر (افريقيا)، والامارات (بحر العرب وإيران)، الأردن (الجنوب السوري والحجاز)، فيما تعد السعودية الخاسر الأكبر بعد تعثر حربها على اليمن. تواجه دول المنطقة تحديات كبيرة، نتيجة المديونية العالية، والنمو الكبير لعدد السكان لا سيما فئة الشباب منهم، وعدم القدرة على إيجاد فرص عمل مناسبة لتقديراتهم العلمية، من ناحية أخرى، تعمل المتغيرات المناخية على تدني نسبة هطول الامطار، فيما السيطرة الخارجية على موارد المياه يؤديان الى نقص في مساحة الأراضي الزراعية المروية في مصر وسوريا والعراق، ويضر بشكل فادح بالأمن الغذائي للبلاد، إضافة الى فقدان الأنظمة الحاكمة لشرعيتها الشعبية.

ان التوصل الى إعادة العمل بالاتفاق النووي بين مجموعة ال5+1 وإيران، من المحتمل ان يفتح الباب الى تسوية لخفض التصعيد على مستوى المنطقة، هكذا تتفرغ الولايات المتحدة لمواجهة الصين، فيما تنفتح دول المنطقة نسبيا على إيران. أما بالنسبة للكيان الإسرائيلي المؤقت، فرغم أن واشنطن تعمل على تهيئة بيئة إقليمية أمنية لصالحها من خلال اتفاقات التطبيع، إلا أن عينها هي على شبه الجزيرة العربية ومشاريع الربط التكنولوجي والاقتصادي مع دولها، حيث يصبح هذا الكيان المؤقت درة تاج المنطقة، من خلال جعل موانئه مركزا رئيسيا لصادرات وواردات المنطقة، وشبكات السكك الحديدية التي تربطه بدول الخليج العربية، والمركز الرئيسي كموزع للإنترنت في المشرق العربي وحوض البحر الاحمر، ومركزا لتصدير غاز شرق المتوسط الى أوروبا، وهو يقع موقع قلب كل تحالف في المنطقة، ابتداء من تحالف شرق المتوسط، الى تحالف الشام الجديد، والتحالف العقائدي والسياسي الأم المسمى بحلف طريق أبراهام، أو بحلف الدول الموقعة على اتفاقات السلام الابراهيمي، والذي من المتوقع أن يتوسع في السنوات القليلة المقبلة.

فائدة

لا شك أن العودة لدروس التاريخ، ودراسة أسباب الصراعات والتحولات العالمية، ذو فائدة كبيرة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل. إن جمع المقارنة والاستشراف في هذا الفصل، كان الهدف منهما هو الانتقال الى وضع خريطة طريق وتوصيات تضمن استدامة المشروع السياسي لمحور المقاومة، من خلال تأطيرهم في كيان سياسي جامع يعرض رؤى وأهداف موحدة لأعضائه، ويخاطبون بها دول العالم ككيان موحد، ما يكسبهم ثقلا ومكانة سياسية إقليمية ودولية.

التوصيات

إن الوصول الى الأهداف العليا، لا يكون من خلال اتباع مسار واحد، إنما يكون بسلك مسارات متعددة ضمن عملية تفاعلية وديناميكية تلتقي فيها هذه المسارات عند نقطة الهدف في نهاية الأمر، وبما أن إشكالية بحثنا هو التحول من حالة المحور المقاوم الى منظمة سياسية إقليمية توحد جهود أعضائها السياسية والثقافية والاقتصادية، إضافة الى العلمية، وفتح باب الانتساب لأعضاء جدد، من أجل مساعدة مجتمعات وحكومات المنطقة في التحرر والتطور على كافة الصعد. نعرض في الآتي عددا من المسارات نعتقد أنها تؤدي لتحقيق الهدف المنشود.

- التأطير السياسي

الوحدة والعمل المنتظم، إضافة الى المنهجية الموحدة، هم أساس تثبيت المكانة السياسية للدول.

- العمل على إنشاء منظمة سياسية ذات أبعاد ثقافية وعلمية واقتصادية، تؤمن المكانة الإقليمية والدولية لأعضائها.
- أن لا يكون اسم أو شعار المنظمة الوليدة يحمل شعارات أيديولوجية أو عسكرية.
- نشر سياسات المنظمة وأهدافها.
- تكثيف الاتصالات مع دول العالم والاقليم للحصول على الاعتراف بالمنظمة الناشئة.
- الطلب من الأمم المتحدة أن تحضر جلسات المنظمة بصفة مراقب.
- عقد اجتماعات على مستوى قادة الأعضاء بشكل دوري ومستمر.
- استخدام علاقات أعضائها الدولية والإقليمية للتواصل والتعاون مع المنظمات الأخرى، مثل منظمة شانغهاي.
- وضع خطط الربط الثقافي والاقتصادي والعلمي، وغيرها من المجالات بين أعضائها.
- عقد اتفاقية دفاع مشترك بين الأعضاء.
- وضع تحرير فلسطين على رأس أهدافها.
- فتح باب العضوية للدول التي تقاوم الهيمنة الغربية مثل كوبا وفنزويلا وغيرها.
- فتح باب العضوية للمنظمات والحركات السياسية التحررية على المستوى الدولي.
- نقترح أن يكون شعار هذه المنظمة هو؛ ثقافة – إنسانية – حرية
- نقترح أن يحمل رسم الشعار؛ غصن زيتون وحمامة سلام، وأيدي متشابكة لمختلف الأجناس البشرية – الأبيض، الأصفر، الأسود، والحنطي.

- النهضة الثقافية

نقترح أن يكون تركيز المنظمة الوليدة على جعل القيم الإسلامية والإنسانية عالمية الانتشار، وفي هذا السياق نقترح التالي:

- تقييم التجربة الثقافية لمحور المقاومة، منذ العام 1980 الى اليوم.
- تطوير المحتوى الثقافي، وتوسيعه ليشمل جوانب لم يلقى الضوء الكافي عليها، وتسمح بتعميق المعرفة الدينية، وتوسيع آفاق التفكير والتأمل.

- العمل على تعزيز المشتركات مع المحيط الإسلامي والعربي - كل بلغته ولهجته – لمنع الدول والأنظمة المعادية من توتير العلاقات بين المذاهب الإسلامية المختلفة.
- العمل على تعزيز المشتركات مع أصحاب الديانة المسيحية داخل المجتمعات الإسلامية والعربية، للحفاظ على وحدة المجتمع، وتقليص آثار التدخل الأجنبي وأدواته ووسائل إعلامه.
- العمل على تعزيز المشتركات مع المجتمعات المسيحية الغربية - كل بلغته ولهجته – لصناعة رأي عام عالمي جماهيري رافض لسياسات الحكومات الغربية.
- تعزيز الوصول الى شبكة الانترنت، عبر الاستثمار في تكنولوجيا الاتصالات، من الجيل الخامس _ شبكة 5G.
- العمل على إنشاء مواقع تواصل اجتماعي وبشكل كثيف، لتشكل بدائل آمنة عن المتوافرة حاليا، إضافة الى تسويقها في المحيط العربي والإسلامي، والعالمي.
- العمل على تطوير شبكة انترنت محلية، كبديل مستقبلي آمن.

- التشبيك الاقتصادي

يعد العامل الاقتصادي في عصرنا الحديث رافعة التقدم العلمي والتكنولوجي، وسبب مباشر في تطور المجتمعات واستمرارية النظم السياسية، وباتت العلاقات الدولية في الآونة الأخيرة تنطلق من المصالح الاقتصادية، وتتشكل حولها السياسات والإجراءات، لذا نقدم هذا السياق المقترحات التالية:

- تطوير بنية تحتية لبناء مدن صناعية، وربطها بالموانئ التجارية البحرية، ومصادر الطاقة.
- تطوير بنية تحتية لإنشاء مدن للصناعة التكنولوجية، على شاكلة وادي السيليكون في الولايات المتحدة.
- تعزيز سلاسل التوريد بين الأعضاء.
- تطوير وتعزيز سلاسل القيمة الصناعية والتكنولوجية بين الأعضاء.
- إقرار قوانين لتطوير العلاقات الاقتصادية بين دول المحور:
  - إلغاء العرفة الجمركية بين دول المنظمة الوليدة.
  - اعتماد صيغة الشريك الاقتصادي المفضل بين دول المنظمة.
  - تسهيل حركة انتقال رؤوس الأموال.
  - جعل بلدان المنظمة جنات ضريبية لمواطني أعضائه من كافة الفئات.
  - تسهيلات ائتمانية لكبار وصغار المستثمرين.
  - انشاء شركات برؤوس أموال مشتركة.
  - تشجيع الشراكة بين القطاع العام والخاص.
  - تشجيع تجارة الترانزيت بين دول المحور، لا سيما في قطاعي التكنولوجيا والصناعة.
  - تشجيع بناء وشراء السفن التجارية بالشراكة بين القطاعين الخاص والعام.

- تطوير القطاع النقدي:
  - إيقاف التداول بالدولار الأميركي، في التجارة البينية بين أعضاء المنظمة.
  - التداول بالعملة المحلية في التعاملات الاقتصادية المشتركة.

- يعد خلق عملة جديدة بين أعضاء المنظمة، وعدم ربطها بالدولار، واعتمادها على قوة الاقتصاد والتجارة البينية بين أطرافها، خطوة أساسية على صعيد الاستقلال الاقتصادي والنقدي.
- تقليص تدخل النظام النقدي العالمي في القطاع المالي المشترك، وتسهيل انشاء شركات للتحويلات النقدية، تتجنب المرور عبر نظام سويفت.
- العمل على خلق عملة إلكترونية موحدة، واستخدامها بداية بين أعضاء المنظمة، ثم الانتقال بها الى السوق العالمية.

➢ ملاحظة:

1. رغم أن تطبيق هذه التوصيات يعد تحديا كبيرا، إلا أنه سيكون أسهل بين الدول، لذا من المناسب إعطاء الكيانات السياسية غير الدولتية مثل حزب الله صفة قانونية خاصة، أو تقديم التسهيلات لمواطني البلد الذي يوجد فيه طرف من أعضاء المنظمة مهما كان انتماؤهم.

- التشبيك العلمي

تعد الولايات المتحدة من أكبر الدول المستقطبة للعقول في العالم، بغض النظر عن جنسيتهم أو جنسهم، وهي تبذل في سبيل ذلك الكثير من الاستثمارات في القطاعات التعليمية حول العالم، وتشرف بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال منظمات الأمم المتحدة المختصة على وزارات التربية والتعليم ومناهجها التعليمية، وكذلك تفعل بعض الدول الأوروبية، كما تقدم الارشادات والمنح المالية والعلمية، في نفس الوقت الذي تراقب فيه سفاراتها النوابغ الطلابية في المراحل الدراسية كافة، وتعمل على استقطابهم سواء لصالح القطاع العام أو الخاص في الولايات المتحدة، وبلادنا ذاخرة بهؤلاء النوابغ، ولا ينبغي لنا إهمالهم أو الانقاص من قدراتهم، أو جعلهم يقعون فريسة لليأس، وعدم إقفال آفاق التطور المهني المستقبلي أمامهم، إليكم بعض التوصيات في هذا المجال:

- تبادل المعرفة العلمية بين الجامعات والاكاديميات المتخصصة، مع مراعاة الحفاظ على السرية قدر الإمكان.
- إنشاء مراكز أبحاث ومختبرات علمية مشتركة.
- تشجيع المنح العلمية البينية للمتفوقين، خاصة في مجالات الفيزياء، والكيمياء، والاتصالات.
- إنشاء وكالة مشتركة لعلوم الفضاء.
- تقدير الطلاب المتفوقين والعلماء عبر نظام حوافز مجزٍ، بحيث يصعب على الوكالات الدولية، والدول الأجنبية استقطابهم، وإفراغ دول وكيانات المنظمة من العقول العلمية.

- موازنة الانفاق العسكري

يستنزف سباق التسلح القدرات الاقتصادية للدول والمجتمعات ما يؤدي الى انهيارها، وننصح بدراسة حالة الاتحاد السوفياتي السابق لمعرفة الأسباب التي أدت به الى الدخول في هذا المعترك، كالمعلومات المضللة مثلا، وتداعياته التي أدت لانهياره لاحقا، نقدم في السياق التوصيات التالية:

- الموازنة في الانفاق العسكري بين السلاح التقليدي، وتكنولوجيا الذكاء الصناعي المدني والعسكري.
- تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية الاستراتيجية من خلال مرحلتها.
- الاستفادة من الصناعات العسكرية في المجالات المدنية.

- الحياد الإيجابي

للانخراط في الاحلاف الدولية والتموضع في أحد معسكراتها مخاطر جمة على الدول والكيانات السياسة المتوسطة القوة، مثل محور حلف المقاومة. نطرح في هذا السياق التوصيات والتجارب التاريخية في التالي:

- عدم الدخول في أحلاف دولية لصالح معسكر ضد آخر، نقدم مثالا على ذلك؛ تجربة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ونتائجها؛
- أدت الهزيمة الى انهيار الدولة العثمانية وتقاسم الأقاليم التي كانت تحكمها بين الدول الفائزة في الحرب العالمية الأولى.
- في حالة فوز قوى المحور، كانت ألمانيا ستستحوذ على القرار السياسي للدولة العثمانية.
- الاستفادة من تجربة حركة عدم الانحياز في إيجاد تحالف معنوي وواقعي بين عدد من الدول، التي تسعى لتعزيز الأمن والسلم الدوليين، وتثبيط الصراعات الإقليمية والعالمية.
- إيجاد صيغة دفاع مشترك بين أعضاء المنظمة الوليدة.

➢ ملاحظة: قد يكون من المفيد تقييم تجربة الحرب السورية والتدخل الروسي، وتداعيات هذا التدخل على محور المقاومة.

الخاتمة

رغم مرور أكثر من مئة عام على اندلاع الحرب العالمية الأولى، بسبب صعود لاعب دولي جديد وقوي يملك طموحات امبراطورية نافست القوى العظمى في ذلك الوقت، ما أدى لاندلاع حرب كبرى جذبت إليها قوى دولية تقع على الجانب الآخر من العالم، كما أدت الى تغير الخرائط والحدود السياسية على المستوى الدولي، بل أدت الى نشوء دول جديدة لم تكن موجودة من قبل، وانهيار امبراطوريات وأنظمة سياسية حكمت لقرون، وصعود أنواع جديدة من الأنظمة الأيديولوجية التي سيطرت على موارد وثروات هائلة، فكانت تلك الحرب رغم الدماء والدمار والاستنزاف الهائل للثروات الوطنية فرصة لكثير من الشعوب للتخلص من نير الاستعباد الذي استمر لمئات السنين، والحصول (ولو ظاهريا) على حقهم في تقرير مصيرهم. تتجدد اليوم بشكل مذهل الظروف والعوامل الدولية التي سادت منذ أكثر من قرن من الزمان. يمثل صعود الصين السريع والكبير على كل الصعد صدمة كبيرة للولايات المتحدة التي ورثت الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية عقب الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي تعاني منه الإمبراطورية الامريكية نفسها من انقسامات جذرية على الصعيد الاجتماعي الداخلي وفي كافة المجالات، اخترقت هذه الانقسامات النسق السياسي والبيروقراطي المدني والعسكري، في الوقت الذي تعاني منه البلاد من ضائقة اقتصادية هي الأكبر في تاريخها، وبنية تحتية أصبحت مهترئة في عُرف الدول الكبرى، وغير مناسبة للانتقال الى عصر الصناعة الخضراء والتقدم التكنولوجي والذكاء الصناعي، ومواجهة التغيرات المناخية القاسية التي قد تتسبب بنزوح سكاني من المناطق الساحلية باتجاه الداخل، وغيرها من المشاكل. في نفس الوقت الذي تمد فيه الصين شبكة نفوذها العالمية ساعية لإزاحة الولايات المتحدة عن عرش الريادة العالمية، الامر الذي أجبر واشنطن على توجيه جزء كبير من مواردها المالية وأصولها العسكرية الى جنوب شرق آسيا، بهدف احتواء التمدد الصيني.

تدرك أوروبا ضعفها، في مواجهة روسيا الناهضة من كبوتها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، والتي تحولت الى عملاق عسكري، ودولة تحتوى على ثروات باطنية متنوعة وهائلة، وأن انشغال الولايات المتحدة في المواجهة مع الصين انطلاقا من الشرق الأوسط، وامتدادا الى جنوب شرق آسيا قد يجعلها مكشوفة أمام خطر الطموحات الروسية، لذا تعمل بشكل حثيث على تعزيز دول شرق أوروبا، من خلال تغذية العصبيات القومية الأوكرانية والبولندية، في مواجهة روسيا، فيما يعمل حلف الناتو على احتواء موسكو، من خلال ضم دول شرق أوروبا الى عضويته، وأهمها أوكرانيا التي تشكل عضويتها في الحلف خطرا استراتيجيا على روسيا.

سوف تحتدم المواجهة الشرقية – الغربية في السنوات القليلة المقبلة، وقد تُجبر الولايات المتحدة على ارخاء قبضتها على منطقتنا، وتنغمس كليا في صراعها مع الصين، مما قد يتسبب بضعف وكلائها في المنطقة، وجعل موقف إسرائيل الاستراتيجي مختل لمصلحة محور المقاومة.

الصراع الكبير القادم بين الولايات المتحدة والصين على وجه الخصوص، قد يفتح آفاقا كبيرة لشعوب المنطقة للعمل يدا بيد للنهوض في كافة المجالات والاستعداد لتحرير فلسطين، هذا ليس حلما، بل حقيقة في حال أحسنت القوى الحية والفاعلة في غرب آسيا المعروفة بمحور المقاومة، استغلال هذه الفرصة التاريخية وتلافي أخطاء قوى التحرر السابقة باعتمادها على الأجنبي للتخلص من التخلف والجهل الذي تسببت به الدولة العثمانية، ما أدى بشعوبهم الى التخبط مائة عام في صراعات داخلية وخارجية، واستغلال المستعمر لمواردهم وثرواتهم، والتسبب بإفقارهم وتدمير مستقبل الأجيال القادمة واستتباعها.

اليوم هناك فرصة كبيرة سانحة لتحول المحور كأمّة الى قطب في العلاقات الدولية، من خلال تأطير العمل السياسي عبر إنشاء منظمة توحد الأهداف والاستراتيجيات، وتعمل على الاستغلال الأمثل للثروة الثقافية الإسلامية وقيمها

الإنسانية العالمية، والاستفادة القصوى من الثروة البشرية الشابة، إضافة الى الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي الاستراتيجي للمنطقة، ولكي يضمن المحور استمراريته، ينبغي أن تتحول قيمه النابعة من القرآن والنبوّة والولاية الى قيم عالمية، ولا يتم له ذلك إلا اذا رسخها في مجتمعاته أولا، ثم في المجتمعات الإسلامية الأخرى، لا سيما العربية منها، وانطلق بها الى العالمية، وتمكن من استغلال أدوات التقدم التكنولوجي لا سيما في الوسائط الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، ولا يقتصر الامر على النشر الثقافي، بل هو عملية متكاملة تحتاج الى تشبيك اقتصادي وعلمي، واستثمار هائل في الذكاء الصناعي المدني والعسكري، والتكامل في مختلف المجالات بين أعضاءه، لكي نصل بحق الى مرتبة قطب دولي.

المراجع باللغة العربية

1. تأليف مجموعة من الباحثين، تحرير رشيد خشانة، الطريق الى سايكس بيكو – الحرب العالمية الأولى بعيون عربية، مركز الجزيرة للدراسات، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2016.

2. د. محمد حسن العيدروس، الأحوال العسكرية في العراق والشام إبّان الحرب العالمية الأولى في ضوء وثائق لجنة الدفاع الامبريالي، مجلة المؤرخ الإسلامي – دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، جامعة القاهرة – كلية الآداب – قسم التاريخ، العدد العشرون، يوليو 1998.

3. أ. عبد القادر خليفي، الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وآسيا، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية – قسم التاريخ وعلم الآثار، محاضرات مقياس، 2019 – 2020.

4. العقيد جرجس الملحم، تأثير التوافق الصيني الروسي على السياسة الامريكية في الشرق الأوسط، مجلة الجيش اللبناني، العدد 87، كانون الثاني 2014.
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/print/6291

5. بيكا واسر، حدود الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط – منظور تحليلي، راند كوربوريشين – مركز السياسة العامة في الشرق الأوسط CMEPP، تشرين الثاني/ نوفمبر 2019.

6. نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة – دراسة حالة سوريا 2010/ 2014، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية وإستراتيجية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية – قسم العلوم السياسية، السنة الجامعية 2014/ 2015.

7. تقرير مؤتمر روسيا والعالم العربي، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، بيروت، حزيران/ يونيو 2017.

8. جيمس سلادن، بيكا واسر، بن كونابل، سارة غران – كليمان، الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط – منظور تحليلي، راند كوربوريشن – مركز السياسة العامة في الشرق الأوسط CMEPP، 2017.

9. محمد غالم، من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر: الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية.
https://doi.org/10.4000/insaniyat.7908
https://journals.openedition.org/insaniyat/7908

10. د. علي الصلابي، مصر عبد الناصر والانتصار لكفاح شعب الجزائر، قناة الجزيرة – مدونات، 2018.
https://bit.ly/3uJzAbE

11. فيتالي نعومكين - رئيس «معهد الاستشراق» التابع لأكاديمية العلوم الروسية/ موسكو، عدم الانحياز «65 بلس» الذاكرة والدروس، جريدة الشرق الأوسط، العدد 15345، 02 ديسمبر 2020.

12. العوامل التي أدت لتراجع حركة عدم الانحياز، مقاتل من الصحراء – موقع إلكتروني.
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Monzmat3/Enhiaz/sec10.doc_cvt.htm

13. تعرف على حركة عدم الانحياز، قناة الجزيرة، 2016.
https://bit.ly/3owLJgb

المراجع الأجنبية

1. Martin Horn, Economic Planning before 1914, Version 1.0, International Encyclopedia of the First world War, 08 October 2014.

2. By Matthias Blum, Jari Eloranta and Pavel Osinsky, Organization of War Economies, Version 1.0, International Encyclopedia of the First world War, 08 October 2014.

3. Europe before World War I, 1895–1914 – Industrial Economy and Civil Society, Chapter One, Princeton University Press, New York, U.S.A.

4. Wojciech Michnik, Great power rivalry in the Middle East, Real Instituto Elcano - Strategic and International Studies, 2021.

5. Christine Wormuth, Russia and China in the Middle East – Implication of the United States in an Era of Strategic Competition, Rand Corporation, Santa Monica, Calif, U.S.A, May 9, 2019.
http://www.rand.org/pubs/testimonies/CT511.html

6. Anna Borshchevskaya, Raed Wajeeh, Daniel Rakov, and Li-Chen Sim, Russia in the Middle East: A source of stability or a pot-stirrer, Atlantic Council, APR 21, 2021.

7. Stephen Broadberry, Mark Harrison, The Economics of World War I; Comparative Quantitative Analysis, Department of Economics, University of Warwick, Coventry CV4 7AL, United Kingdom, and Hoover Institution on War, Revolution, and Peace, Stanford University, 2 August 2005.

برامج وثائقية

1. د. أليغ نازاروف، من معهد اللاهوت الى العرش السوفياتي، قناة RT، برنامج رحلة في الذاكرة، الرابط غير متوفر.

2. مملكة الحجاز، وثائقيات التلفزيون العربي.

https://youtu.be/1gWVCoYAcVs